١ - انفجار..

« من الدورية السابعة إلى القاعدة القمرية المصرية .. بلغنا حدود المجال الفضائى القصوى ، وكل شىء على ما يرام .. نطلب الإذن بالعودة إلى القاعدة ..» .

أطلقت المركبة الفضائية الصغيرة هذا النداء ، عبر الفضاء السرمدى ، إلى القاعدة المصرية الجديدة ، التى تمت إقامتها على سطح القمر ، فى نفس الموضع الذى كان يحتلّه سجن القمر فى السابق(*) ؛ لمراقبة الحدود الفضائية الأرضية ، وتامينها بصفة دورية ، وتلقّت القاعدة النداء ، كما تتلقّى نداءات المركبات الأخرى لأسطول المراقبة الفضائى ، وأجابت بتلقائية نمطية :

- من القاعدة القمرية إلى الدورية السابعة .. حصلت على إذن العودة .. اتجها مباشرة إلى القاعدة .

تنفّس قائد الدورية السابعة الصعداء ، وهو يستمع إلى العبارة ، والتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- أخيرًا .. لقد سئمت التجوال فى الفضاء طوال الوقت .

(*) راجع قصتى (سجن القمر) ، و (الإمبراطور) .. المغامرتين رقمى (٤٨) ، و (٨٦) .

ابتسم مساعده ، قائلاً :

– طوال الوقت ؟! .. الا يبدو لك القول مبالغًا يا سيِّدى .. لقد غادرنا القاعدة منذ ساعتين فحسب .

هزَّ القائد كتفيه ، وقال :

– ولكننا نفعل هذا يوميًا ، وعلى نحو رتيب مثير للضجر ، حتى اننى اتساءل فى بعض الأحيان : ما جدوى هذه الدوريات المنتظمة ؟

ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة ، وهو يقول :

– ما جدواها ؟! .. هل نسيت ما تعلمناه فى معهد الملاحة الفضائية يا سيِّدى ؟! .. لقد تطوَّر كل شىء ، حتى بات من الأفضل ان تؤمِّن الأرض حدودها الفضائية ، بدلاً من ان يفاجئها غزو آخر ، دون ان تستعد لمواجهته ، كما حدث فى السابق(*) .

مطَّ القائد شفتيه ، وقال وهو يدور بالمركبة ، استعدادًا للعودة :

– افتراض نظرى بحت .. هل تعتقد ان مركبة فضائية بسيطة كهذه ، يمكنها ان تتصدَّى لمحاولة غزو فضائية ؟!

اجابة مساعده فى شىء من الحزم ، لا يتناسب مع فارق الرتب بينهما :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

– هذه ليست مركبة فضائية بسيطة يا سيِّدى .. إنها مقاتلة فضائية من احدث الطرز المعروفة ، يمكنها ان تنطلق بسرعات مذهلة عبر الفضاء ، رمزوَّدة بمدفعى ليزر ، وقاذف صاروخى ، وتمتلك قدرة مدهشة على المناورة ، مع اجهزة رادار ورصد متطوِّرة ، و ..

قاطعه القائد فى ضجر :

– اعلم هذا يا رجل .. اعلمه واحفظه عن ظهر قلب ، ولكننى مازلت اصرّ على انها لا تصلح للتصدّى لاية محاولات غزو من حضارة اخرى ، لو ان تلك الحضارة تفوق حضارتنا علمًا وتقنية ، ولست ادرى فى الواقع كيف تستنكر امرًا منطقيًا كهذا ، فلو ان احد الغزاة من كوكب آخر ، يستهدف الأرض ، وادركت ان مركبة كمركبتنا قد رصدت مسارى ، لن تردَّد لحظة واحدة فى نسفها نسفًا ، وسحقها فى لحظات ، دون ادنى تردُّد ، وثق بان هذا لن يكون سعيًا ابدًا ، بالنسبة لأسطول غزو يسعى نحو كوكب متقدِّم ككوكبنا ، فهو سيحمل حتمًا اسلحة لا قبل لنا بها ، و ...

بتر عبارته بغتة ، مع ازيز مباغت ، انطلق من احد اجهزة الرصد فى المركبة الفضائية ، فالتفت مع

مساعده إلى شاشته فى آن واحد ، وحدقا معًا فى المشهد الذى حملته ، قبل أن يغمغم القائد فى ذهول يمتزج بعصبية :

- ما هذا الشىء بالضبط ؟!

ازدرد مساعده لعابه فى توتر ، وهو يتطلع إلى الجسم الذى رصده الرادار ، والذى بدا أشبه بقرص كامل الاستدارة ، يبرز منه شىء كمقدمة صاروخ قديم ، يسبح فى الفضاء فى خط مستقيم ، وكأنما يتجه إلى هدف ثابت ، ثم غمغم بدوره :

- يبدو لى كمركبة فضائية مجهولة الهوية .

قال القائد فى عصبية :

- ماذا تعنى بمركبة فضائية مجهولة الهوية ؟! .. المفترض أننا الجهة الوحيدة ، التى تؤمّن الحدود الفضائية ، ثم إن هذه المركبة لا تشبه أيًا من المركبات الفضائية ، التى أنتجتها الدول الأخرى ، و ...

قاطعه مساعده ، وهو يقول فى توتر شديد :

- إنها مركبة فضائية غير أرضية .

انتفض جسد القائد فى شدة ، على الرغم من أن الجواب لم يخالف ما شعر به فى أعماقه ، منذ اللحظة الأولى ، التى وقع بصره فيها على المركبة ، وتمتم بصوت يموج بالرهبة :

- غير أرضية ؟! ..

مضت ثوان أخرى ، وهو يحدّق مع مساعده فى شاشة الراصد ، التى نقلت صورة المركبة ، وهى تواصل الانطلاق فى مسارها ، فى حين راح الكمبيوتر المتصل بالراصد يرسم تصميمًا أوليًا للمركبة ، من واقع ما يحصل عليه من بيانات أولاً فأولاً ، ويحدّد مسارها وهدفها ، ثم لم يلبث أن أطلق صوتًا خاصًا ، جذب إليه انتباه الرجلين ، ليهتف المساعد فى ارتياع :

- رباه !.. إنها تتجه إلى الأرض مباشرة .

ضغط القائد زرّ جهاز الاتصال فى سرعة ، وهو يهتف :

- من الدورية السابعة إلى القاعدة القمرية المصرية .. تم رصد جسم فضائى مجهول الهوية ، يتجه إلى الأرض مباشرة .. نطلب الإذن بالاقتراب منه ، وجمع معلومات أكثر دقة عنه .

ولو أن قنبلة انفجرت فى قاعدة القمر ، لما كان لها ذلك التأثير ، الذى أحدثته عبارة قائد الدورية السابعة ، عندما تم استقبالها ، فقد انتفضت أجساد الجميع ، وخفقت قلوبهم فى عنف ، وأطلّت من عيونهم نظرة تجمع ما بين الارتياع والهلع والتوتر ،

وراحوا يتبادلون تلك النظرات المضطربة الخائفة ، في حين ازدرد قائد القاعدة لعابه في صعوبة ، قبل أن يقول بصوت مبحوح :

- من القاعدة إلى الدورية السابعة .. حدد ما تعنيه بجسم فضائي مجهول الهوية .. أهو نيزك(*) ، أم ..

قاطعه قائد الدورية السابعة في توتر شديد :

- إنه مركبة فضائية غير أرضية .. مركبة تتجه إلى الأرض مباشرة .

انطلقت شهقات عنيفة من الحلوق ، في القاعدة الفضائية ، وامتقعت كل الوجوه ، وارتفعت همهمات متوترة ، والكل يستعيد ذكريات الاحتلال البغيضة ، واتسعت عينا قائد القاعدة لحظة ، قبل أن يقول في حزم :

- لا تقترب الآن يا قائد الدورية السابعة .. حاول أن تحدد حجم المركبة وقوتها أولاً ..

أتاه الجواب على الفور :

(*) النيزك : شهاب غير تام الاحتراق ، يمكن أن تصل أجزاؤه إلى الأرض ، بعد اختراقها الغلاف الجوي ، وبعضها يخترق سطح الأرض ، ويختفي في داخلها ، أو يُحدث فيها فجوة كبيرة ، ويعتقد أن النيازك والشهب هي بقايا كواكب قديمة انفجرت .

- إنها ليست مركبة ضخمة .. إنها تماثل حجم مركبتنا تقريبًا ، أو أقلّ قليلاً ، كما يشير الكمبيوتر ، والتحليل الطيفي لمادتها يشير إلى أنها مصنوعة من معدن غير معروف في أرضنا(*) .. ويبدو ، طبقًا للتحليلات الأولية ، أنها تحوي بعض الأسلحة القتالية ، من طراز مجهول .

ضاعف جوابه من حدة التوتر في القاعدة ، وغمغم نائب القائد في قلق مشوب بالحيرة :

- مركبة فضائية صغيرة من كوكب آخر ؟! .. تُرى ما الذي يمكن أن تمثله من خطر لأرضنا ؟!

أجابه القائد في صرامة :

- من يدري ؟! .. إننا نجهل طبيعة وقوة ما تحمله من أسلحة ، ومدى ما يمكن أن تفعله بالأرض .

ثم ضغط زر الاتصال ، مستطردًا في حزم :

- من القاعدة إلى الدورية السابعة .. اكتف مؤقتًا

(*) التحليل الطيفي : هو تحليل للضوء المنبعث ، أو المنعكس عن أية مادة ، بواسطة جهاز خاص ، يطلق عليه اسم مقياس الطيف (الاسبكتروسكوب) ، ولكل مادة طيفها المميز ، الذي لا يطابق أية مادة أخرى ، ويمكن تعرّفها عن طريق خطوط سوداء تظهر في أماكن محدودة من مقياس الطيف ، والطيف ينشأ أساسًا من مرور الضوء في منشور زجاجي .

بتعقُّب تلك المركبة ، ولا تحاول استثارتها بأى حال من الأحوال .

نقلت إليه أجهزة الاتصالات شهقة مكتومة ، قبل أن يهتف قائد الدورية السابعة :

- اعتقد انه فات أوان هذا التحذير يا سادة .. إنها تهاجمنا بالفعل .

كانت المركبة المجهولة قد عدلت مسارها بغتة ، وبزاوية شبه قائمة ، ثم انطلقت نحو مركبة الدورية السابعة مباشرة ، وكأنها تنقضّ عليها ، فغمغم مساعد القائد فى ذعر :

- رباه ! .. إنها تهاجمنا ! .

أجابه القائد ، وهو يتجه بأصابعه إلى أزرار التحكُّم فى الأسلحة القتالية لمركبته :

- ياللعبقرية ! .. هل أدركت هذا وحدك ؟!

ثم انحرف بالمركبة فجأة ، وصوت قائد القاعدة القمرية ينطلق عبر جهاز الاتصال صائحًا :

- لا تشتبك معها يا رجل .. تراجع على الفور .. اهرب .. اهرب فورًا .

ومع صيحته ، انطلق خيط من الضوء الأزرق ، من المركبة الفضائية المجهولة ، وكاد يصيب مركبة الدورية السابعة ، لولا المناورة البارعة التى قام بها قائدها ، وهو يقول فى حدة لمساعده :

- اهرب منها ؟! .. ألم أقل لك : إن حديثهم كله نظرى يا هذا .

ثم مال بالمركبة ثانية ، وانقضّ على المركبة الفضائية المجهولة ، وهو يطلق نحوها مدفعى الليزر ..

كانت المركبتان تنطلقان بسرعة خرافية ، عبر الفضاء والفراغ ، وكلتاهما تقوم بمناورات مدهشة لتفادى أسلحة الأخرى ، والانقضاض عليها من زاوية جديدة ، دون أن تفلح واحدة منهما فى الظفر بالأخرى ..

وفى القاعدة القمرية ، نجحت أجهزة الرصد العملاقة أخيرًا فى التقاط مشهد القتال ، واتسعت العيون فى هلع وانبهار ، مع تلك المناورات العنيفة ، وغمغم قائد القاعدة فى توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الضخمة :

- رباه ! .. إنها مركبة مقاتلة .. تُرى لماذا كانت تنطلق نحو الأرض ؟! .. وما هدفها بالضبط ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قائد الدورية السابعة ينطلق فى الفضاء ، متفاديًا أشعة المركبة المجهولة ، ثم يدور بمركبته حول نفسها ، وهو يهتف بمساعده المبهور :

- الأوغاد الفضائيون ، الذين يقودون تلك

الشيء ، بارعون بحق ، ولكننى سائبت لهم اننا افضل مقاتلين عرفهم الكون .

قال مساعده فى توتر بالغ :

- سيدى .. اعترف لك بالبراعة والمهارة ، ولكننا مازلنا نجهل كل ما ...

قاطعه القائد ، وهو ينطلق بمركبته فجاة نحو المركبة المجهولة ، صائحًا :

- كفى يا رجل .. لا اريد اية عبارات محبطة ، فى هذه اللحظة بالذات .

كان يقوم بمناورة مذهلة ، دار خلالها حول المركبة المجهولة ، ثم انقضّ عليها مباشرة ، على نحو خفق له قلب مساعده فى قوة ، وانحبست معه الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه فى ارتياع ..

واطلقت المركبة المجهولة شعاعها الأزرق ..

وفى نفس اللحظة بالضبط ، ضغط قائد الدورية السابعة زر القاذف الصاروخى ، وانحرف بمركبته فى مهارة ، وهو يهتف :

- خذوها منى ايها الأوغاد .

تفادت مركبته الشعاع الأزرق فى اللحظة الأخيرة ، فى نفس الوقت الذى انطلق فيه صاروخه نحو المركبة المجهولة مباشرة ..

وكانت تلك المناورة المزدوجة مباغتة بحق ، بالنسبة للمركبة المجهولة ، التى حاولت تفادى الصاروخ الصغير ، الذى انطلق نحوها بسرعة خرافية ، و ...

واصاب منتصفها مباشرة ..

وحدث الانفجار ..

ويالله من انفجار !!..

فعلى الرغم من صمته(*) ، اضاء كشمس صغيرة ، اشرقت فجاة فى قلب الفضاء ، وتمددت لمساحة واسعة للغاية ، مع موجة تضاغطية ارتجاجية رهيبة ، جعلت مساعد قائد الدورية السابعة يصرخ فى رعب ، والمركبة تهتز به وبقائده فى عنف ، كريشة فى مهب رياح عاتية :

- رباه ! .. ما الذى كان يحويه هذا الشيء بالضبط ؟

ومع اخر حروف كلماته ، لحق ذلك الضوء المتمدد بالمركبة ، مع حرارة هائلة ، سحقتها سحقًا فى لمح البصر ، امام اعين المراقبين ، فى القاعدة القمرية ، الذين صرخوا فى رعب ، وهتف احدهم ، وهو يحدق فى شاشة كبيرة ، ترصد تاثير الانفجار :

(*) الصوت لا ينتقل قط عبر الفراغ والفضاء ..

- رباه !.. إنه أبشع انفجار رأيته فى حياتى كلها .. إنه يفوق انفجار عشر قنابل نووية فى آن واحد .

وصرخت زميلته ، وهى تقفز من مقعدها :

- إنه يتجه نحونا .

انطلقت الصرخات فى كل مكان ، وتخلّى الجميع عن مواقعهم ، وانطلقوا يعدون فى كل اتجاه ، كما لو انهم يحاولون الفرار من خطر مجهول ، وقائدهم يصرخ بهم :

- لا تغادروا مواقعكم .. لا تتركوا أجهزتكم .. لا ..

اختنقت الكلمات الأخيرة فى حلقه ، واتسعت عيناه فى رعب هائل بلا حدود ، وهو يحدّق فى شاشة الرصدالضخمة ، التى تمدّدت فوقها رقعة الانفجار ، وبدا وكانها ستحتلّها كلها ، وتاثيرها يقترب بسرعة مخيفة ، عبر آلاف الكيلو مترات فى الفضاء ، من القمر ، وقاعدته التى سادها اضطراب وهرج ومرج شديدين ، والجميع يجرون فى كل مكان بلا هدف ، وقد بدا لهم أن نهايتهم قد حانت ..

ثم انقضت موجة الضوء والحرارة على القاعدة القمرية ..

وتحوّلت الصرخات المحدودة إلى صرخة واحدة

هائلة ، حملت عذاب كل العاملين هناك ، كما لو أن أحد أبواب الجحيم قد انفتح على مصراعيه ، وانقضّت عليهم لفحاته بلا هوادة ..

وذابت القبة الزجاجية المحيطة بالقاعدة ، مع الحرارة الهائلة ..

وانفجرت أجهزة الرصد ، والمقاتلات الفضائية الرابضة فى مواقعها ، والأسلحة القتالية والدفاعية ..

ولقى عشرات الأرضيين العاملين فى القاعدة مصرعهم ..

أو انسحقوا سحقًا ، لو توخّينا الدقة ..

وتزلزل كيان القمر كله لحظات معدودة ، والموجة تتجاوزه ببضعة كيلو مترات ، كما لو أنها تتجه نحو الأرض ، لتكمل مهمتها البشعة الرهيبة ..

ثم انتهى كل شىء بغتة ..

انحسرت الموجة المخيفة ، وتراجعت إلى مركز الانفجار الهائل ، الذى رصدته كل أجهزة الأرض ، والذى بدا لها كابشع كارثة رصدتها فى تاريخها كله ..

وعاد إلى الفضاء صمته وسكونه ..

ذلك الصمت الذى بدا أشبه بهدوء رهيب ، خيم

على ساحة شهدت مذبحة بشعة وحشية ، قضت على كل مظاهر الحياة والحركة ، ولم تخلف وراءها سوى الموت ..

الموت وحده ..

ولكن هذا الانحسار لم يكن نهاية المأساة ..

لقد كان البداية ..

بداية لأخطر ظاهرة فضائية واجهت كوكب الأرض ، فى تاريخه كله ..

اخطرها على الإطلاق .

* * *

٢- شمس الليل ..

هبط الليل بسرعة مدهشة ، وبدت السماء شديدة الإظلام ، على نحو عجيب ، وخلت تمامًا من النجوم ، واختفى القمر ، على الرغم من عدم وجود أية غيوم لتحجبه ، وشعرت (سلوى) بتوتر لا مثيل له ، وهى تتحسّس طريقها وسط الظلام الدامس ، وخفق قلبها فى قوة ، وهى تهتف :

- (نور) .. اين انت يا (نور) ؟

كانت تبحث عن زوجها ، فى قلب الظلام المحيط بها ، كما يبحث المرء عن شعاع من الأمل فى بحر اليأس ، ولكن صوتها راح يتردّد مع صداه فى المكان ، دون مجيب ، فهتفت والخوف يملأ نفسها :

- (نور) .. لماذا لا تجيب ؟!.. انا (سلوى) ؟!.. انا ..

اختنق حلقها بالكلمة بغتة ، وانتفض جسدها كله فى عنف ، عندما شعرت بانفاس حارة خلفها ، وهتفت :

- اهذا انت يا (نور) ؟

لفحت الأنفاس الحارة عنقها ، مع همهمة جمّدت الدم فى عروقها ، فتراجعت فى رعب زلزل كيانها ، وهى تصرخ :

- رباه !.. ما هذا ؟ .. ما هذا ؟!

لم تنجح عيناها فى اختراق حجب الظلام ، على الرغم من إحساسها القوى بوجود مخلوق حى على مقربة منها ، فظلّت تتراجع ..

وتتراجع ..

وتتراجع ..

ثم فجأة ، برز ذلك المخلوق من قلب الظلمة ..

او اضاء ..

نعم .. هذا هو المصطلح الصحيح ..

لقد اضاء بغتة بضوء خافت ، فيروزى اللون ، ابرز تقاسيمه ، وسط الظلام والصمت ..

وشهقت (سلوى) فى رعب هائل ..

إنه هو ..

إنه ذلك المخلوق البشع ، الذى اذاقهم الرعب داخل مكوك الفضاء(*) ..

ذلك المخلوق الطفيلى ، الذى احتلّ جسد حفيدها (محمود) الصغير ..

وصرخت (سلوى) :

- كيف اتيت إلى هنا ؟.. ماذا تريد منا ؟!

كشّر المخلوق الضئيل عن انيابه ، وسال من بين

(*) راجع قصة (لعنة الدم) المغامرة رقم (١٠٧) ..

شدقيه ذلك السائل الاخضر المقزّز ، وهو يقترب منها بعينين يطلّ منهما الشر ، و ...

وعلى حين غرة ، اشرقت شمس صغيرة وسط الظلام ..

شمس تألّقت بغتة ، وغمرت المكان كله بضوئها ، فالتفتت إليها (سلوى) ، هاتفة فى أمل :

- (نور) .

لمحت فى وضوح ذلك الشخص ، الذى يقف امام دائرة الضوء ، ويتقدّم نحوها ، قائلاً بصوت هادئ عميق :

- لا تخافى يا (سلوى) .. هذا الوحش مجرّد وهم .. لن يمكنه إيذاؤك قط .

ادهشها الصوت ، الذى بدا مألوفًا للغاية ، واستدارت تتطلّع إلى الوحش ، ورات جسده يتموّج ، كصورة منعكسة على سطح بحيرة ، القى بعضهم فوقها حجرًا صغيرًا ..

ثم راح الجسد يتلاشى فى بطء ، حتى اختفى ، وصاحب الصوت الهادئ العميق يقول :

- ارايت .. إنه مجرّد وهم ..

التفتت مرة اخرى إلى صاحب الصوت ، وراته يقترب اكثر ، واكثر ، ودائرة الضوء من خلفه تحجب ملامحه عنها ، فغمغمت :

التفتت مرة أخرى إلى صاحب الصوت ، ورأته يقترب أكثر ، وأكثر ، ودائرة الضوء خلفه تحجب ملامحه ..

- انت لست (نور) .

أجابها فى بساطة :

- بالطبع انا لست (نور) يا (سلوى) .. الا تذكرينني ؟

شهقت فى قوة ، وهى تهتف :

- رباه !.. (محمود) .. ولكن هذا مستحيل ! .. انت .. انت ..

قاطعها فى هدوء عميق :

- ميت .. اليس كذلك ؟!.. كلاً يا (سلوى) .. انا لم امت بعد .. صحيح اننى لم اعد انتمى إلى عالمكم ، ولكننى لم امت بعد .. الموت امر مختلف تمامًا .

هتفت فى لهفة :

- اين انت إذن يا (محمود) ؟!.. اعنى ما نوع الحياة التى تحياها ؟!.. رباه !.. ماذا اقول ؟!.. إنك هنا .. انت امامى ، وانا اراك .. اليس كذلك ؟!

تسلل حزن عميق إلى صوته ، وهو يقول :

- انا ايضًا مجرد وهم يا (سلوى) .. إنك لا ترين جسدى كما يبدو لك . إنها مجرد فكرة ، امكننى أن اتسلل بوساطتها إلى عقلك ، كجزء من احلامك ، حتى تصلك رسالتى .

بكت فى حرارة ، وهى تهتف :

- وهل يمكننا ان نستعيدك يا (محمود) ؟!.. قل لى كيف ؟!.. كيف يمكننا ان نعاونك على العودة إلى عالمنا ؟!

هزّ راسه فى اسى قائلاً :

- لست اعتقد انه توجد وسيلة لهذا .

ثم استدرك بسرعة :

- إلا إذا ..

بتر عبارته بغتة ، فهتفت به :

- إلا إذا ماذا ؟!

همّ بإجابة سؤالها ، لولا ان تضاعف بغتة حجم القرص المضيء خلفه ، وراح يتضخّم ، ويتضخّم ، فالتفت إليه (محمود) وهتف :

- رباه ! .. ياله من خطر .. احترسى يا (سلوى) .. حذّرى (نور) والآخرين .. هناك خطر داهم يهدّد الأرض .. خطر قد يبتلع الكوكب كله يا (سلوى) .. خطر رهيب .. رهيب .. خطر الشمس الجديدة .

ردّد الجملة الأخيرة مرات ومرات ، وجسده ينسحب متراجعًا نحو الضوء ، الذى احتلّ المشهد كله ، وغمر احلامها عن اخرها ، فصرخت :

- لا يا (محمود) .. لا ترحل قبل ان تخبرنى كيف .. لا ترحل يا (محمود) .. لا ترحل ..

« (سلوى) .. استيقظى يا (سلوى) .. » ..

انتفض جسدها فى عنف ، مع صوت زوجها (نور) القلق الحنون ، واستيقظت من نومها ، لتحدّق فى وجهه بذعر ، قبل ان تلقى نفسها بين ذراعيه ، وتنفجر بالبكاء ، هاتفة :

- إنه (محمود) يا (نور) .. (محمود) .. للمرة الثالثة اراه فى احلامى ، منذ عودتنا إلى الأرض .. إنه بحاجة إلى مساعدتنا يا (نور) .. يحتاج إلى من يفيده إلى عالمنا .

تنهّد فى عمق ، وهو يضمّها إلى صدره فى حنان ، ويربّت على كتفها ، مغمغمًا :

- إنه مجرّد حلم يا عزيزتى .

انتزعت نفسها من بين ذراعيه ، هاتفة :

- كلاّ .. إنه ليس مجرّد حلم .. إنها رؤيا يا (نور) .. (محمود) يحاول الاتصال بنا بوسيلة ما .. لا ينبغى ان نتخلّى عنه يا (نور) .. لابد ان نبذل قصارى جهدنا من اجله .

تنهّد مرة اخرى ، قبل ان يقول :

- اتتصوّرين اننى لم احاول ؟!.. لقد شرحت كل ماحدث للدكتور (ناظم) ، فور عودتنا إلى الأرض ، وحاولنا البحث عن تفسير منطقى له ، ودرسنا كل

الاحتمالات الممكنة ، وكل التحليلات العلمية للموقف ، ولكن كل هذا قادنا إلى طريق مسدود .

هتفت معترضة :

- ومن قال : إن الحقيقة تكمن فى العلم وحده ؟!.. الم نواجه عشرات المواقف ، التى حطّمت كل قواعد العلم ، واثبتت لنا أن الكون يحوى من الأسرار وغوامض الطبيعة ، ما يعجز العلم كله عن تفسيره ؟!

هزّ راسه فى اسف ، ثم تطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً :

- وما الذى يمكننا ان نفعله فى رايك ؟!

أجابت فى سرعة :

- أن نبذل قصارى جهدنا لاستعادته .

سالها فى هدوء حزين :

- كيف ؟!

ارتبكت واضطربت ، وهى تبحث عن جواب ، قبل ان تنفجر باكية ، وتهتف :

- هناك وسيلة حتمًا .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ربما .. ولكننا عجزنا تمامًا عن التوصّل إليها .

حدّقت فى وجهه لحظة ، بعينين تسبحان فى بحر من الدموع ، ثم لم تلبث أن القت نفسها بين ذراعيه ثانية ، وهى تبكى هاتفة :

- ياللمسكين !.. إنه وحيد هناك .. ياللمسكين !.

ضمّها إليه ثانية فى رفق ، وهمس :

- لا أحد يدرى يا حبيبتى .. لا أحد يدرى .. صحيح أن أحلامنا جميعًا قد اتفقت فى الآونة الأخيرة ، على أن (محمود) يحاول الاتصال بنا لسبب ما ، ولكن حتى هذا لا يعنى انه على قيد الحياة بالفعل .. لقد وضع (رمزى) تفسيرًا علميًا لهذا ، واكّد لى انه من المحتمل أن يكون هذا مجرّد هلوسة جماعية .. شخص يحلم بـ (محمود) فى وقت يمر فيه الكل بازمة مشتركة ، ويروى حلمه للآخرين ، ثم يربطه بالأمل فى الخروج من الأزمة ، فتنغرس الفكرة فى الأذهان ، ويحلم الكل بالحلم نفسه ، كلٌ على طريقته وباسلوبه ، ثم نتصوّر بعد هذا أن ما يحدث حقيقى ، لمجرّد اننا مررنا به جميعًا .

تمتمت من وسط دموعها :

- اتعنى اننا نبنى صرحًا من الوهم ، ثم نحاول الاحتماء به ، وكانه حقيقة ؟!

ربّت عليها فى حنان ، مجيبًا :

- بالضبط .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث ضوء قوى بغتة ، عبر نوافذ المنزل ، كما لو أن النهار قد طلع فجأة ، على نحو جعل (نور) يقفز من فراشه ، هاتفًا فى توتر :

- يا إلهى !.. ماذا حدث ؟!

لحقت به (سلوى) ، وهو يفتح النافذة ، وحدّق كلاهما فى بقعة الضوء القوى فى السماء ، والتى بدت أشبه بشمس إضافية ، أضاءت ذلك الجزء من الأرض كله ، ثم تراجعت (سلوى) ، مردّدة فى توتر بالغ ، وبصوت شديد التهدّج :

- رباه !.. (محمود) .. (محمود) .

التفت إليها (نور) ، يسألها فى دهشة :

- وما صلة (محمود) بهذا ؟

أشارت إلى بقعة الضوء الكبيرة ، وهى تجيب بصوت مرتجف :

- لقد حذّرنى منها .. حذّرنى من تلك الشمس الجديدة ، التى تهدّد الأرض كلها بخطر رهيب .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجهها ، ثم عاد يتطلّع إلى تلك البقعة المضيئة ، وكلماتها تتردّد فى ذهنه بدوى هائل !.

خطر رهيب يتهدّد الأرض كلها ، بسبب تلك الشمس العجيبة ..

خطر رهيب ..

رهيب ..

وعلى الرغم من رفض العلم الشديد للفكرة ، امتلأت نفس (نور) بيقين تام بأن ما رآه الجميع فى أحلامهم لم يكن وهمًا ..

إنه (محمود) ، يسعى للاتصال بهم من عالم ما ..

ولتحذيرهم من خطر يتهدّد الأرض ..

خطر الشمس الجديدة ..

القاتلة ..

* * *

لوّحت (مشيرة) بذراعها كله ، وهى تهتف بزوجها (أكرم) فى انفعال :

- ظاهرة مدهشة بحق !.. لقد نجح فريقى فى تسجيلها لحظة فلحظة ، على الرغم من انبهار الجميع واضطرابهم أمامها .. هل تتصوّر أن المصورين الضوئيين كان بإمكانهم التقاط صور واضحة ، بأفلام ذات حساسية عادية ، دون الاستعانة بمصابيح إضاءة معاونة ، فى منتصف الليل ، كما لو كانوا فى وضح النهار ؟!.. لقد أكّد لى

أحد العلماء أن هذه الظاهرة لم تحدث سوى فى حادثة (سيبيريا) ، فى أوائل القرن الماضى(*) .

ثم توقّفت عن الاستطراد ، وانعقد حاجباها فى شىء من الضيق ، قبل أن تكمل :

- (أكرم) .. هل سمعت كلمة مما قلت ؟!

كان (أكرم) يقف صامتًا ، أمام النافذة الكبيرة فى ردهة المنزل ، متطلّعًا إلى السماء ، التى اختفت منها تلك الشمس المؤقّتة ، وإن حملت وهجًا مستمرًا ، كما لو أن نيرانًا هائلة قد اندلعت عند أطراف الكون ، وعندما نطقت (مشيرة) عبارتها الأخيرة لم يحرك ساكنًا لبضع لحظات ، وكأنه لم يسمعها ، ثم لم يلبث أن تمتم ، دون أن يلتفت إليها :

- نعم يا (مشيرة) .. سمعتك جيدًا .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى شىء من الحنق :

(*) فى الساعة السابعة عشرة ، والدقيقة السابعة عشرة من صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٠٨ ، دوى انفجار هائل فى منطقة وادى نهر (تنجسقا) ، فى (سيبيريا) ، وشهد البعض كرة من النار تهوى على الأرض ، قبيل هذا بثوان معدودة ، ولقد ادت تلك الكارثة إلى دمار هائل ، لم يعرف العالم الحديث مثيلاً له ، فى كل الظواهر الطبيعية المسجّلة ، ورجّح البعض أن الانفجار قد نشأ من نيزك ما ، أو من سفينة فضاء مجهولة .

- ولكن هذه الظاهرة تقلقنى بحق ، وتثير فى أعماقى مخاوف مبهمة ، تضاعف من عصبيتى وتوترى .

اقتربت منه فى بطء ، ووضعت يدها على كتفه ، قائلة :

- إنها ظاهرة عجيبة بالفعل ، وتثير اهتمام الجميع وقلقهم ، ولكنها تنحسر بسرعة كبيرة ، مما يبث فى النفوس بعض الطمانينة ، ويبشّر الكلّ بأن الخطر محدود .

تمتم فى توتر ملحوظ :

- من يدرى ؟!

تطلّعت إليه فى قلق ، وهى تساله :

- قل لى يا (أكرم) : ما الذى يقلقك إلى هذا الحد ؟

تنهّد فى عمق ، ثم هزّ راسه ، متمتمًا :

- لست أدى بالتحديد .. إنه مزيج من عدم الارتياح ، والقلق ، وشعور مبهم بالخطر .

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

- نفس غريزة الشعور بالخطر ، الكامنة فى أعماق الحيوانات البدائية ، وهذا يناسب طبيعتى الهمجية بالتاكيد .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

– ألن تغفر لى هذا القول أبدًا ؟!.. أنت تعلم أننى نطقته فى ظروف شديدة التوتر ، ولا يمكنك أن تحاسب شخصًا على ما تفوّه به فى أزمة طاحنة .

صمت لحظة ، ثم أجاب فى شىء من المرارة :

– المرء ينطق فى الأزمات بما يخفيه فى نفسه ، فى أوقات السلم .

اعتصر الألم صدرها ، وألمها أن غرست فى أعماقه كل هذا القدر من المرارة ، فربّتت على ظهره ، متمتمة :

– (أكرم) .. لقد اعتذرت لك بالفعل عما قلته .

تمتم فى خفوت شديد :

– نعم .. أذكر هذا .

ثم انطلقت من أعمق أعماقه زفرة حارة ، وهو يستطرد فى عصبية مباغتة :

– بالحرارة الطقس .. من يصدّق أن ترتفع درجات الحرارة إلى أربعين درجة مئوية ، فى منتصف الشتاء ؟!

أدركت أنه ينتزع نفسه من المناقشة بهذا القول ، ولم تشأ إعادته إليها على الرغم منه ، فغمغمت فى ضيق :

– إنه ارتفاع غير طبيعى كما تعلم .. اقترن بتلك الظاهرة العجيبة

تمتم فى شىء من العصبية :

– أتعشّم أن تكون الشىء غير الطبيعى الوحيد ، الذى يقترن بها .

انعقد حاجباها فى شدة هذه المرة ، وهى تسأله :

– (أكرم) .. ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟

لاذ بالصمت لحظات جديدة ، وهو يتطلّع إلى الوهج فى الأفق ، ثم همّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع فجأة أزيز متقطّع ، من ساعة يده ، فتألقت عيناه فى انفعال عجيب ، ودبّ نشاط جمّ فى جسده ، وهو يعتدل ، قائلاً فى حماس :

– إن ساعة العمل قد دقّت يا عزيزتى .

وانحنى يطبع قبلة على وجنتها ، ثم اختطف سترته ، واندفع يغادر المنزل ، فهتفت به فى توتر :

– أبلغنى بكل ما تعرفه .

صاح ، وهو يعبر باب المنزل فى حماس شديد :

– مستحيل !

ثم وثب داخل سيارته ، وانطلق بها على الفور ، مستطردًا :

– هذا يخالف تعليمات العمل .

كان يتمنى الانطلاق بأقصى سرعة ، متجاوزًا كل إشارات وقواعد المرور ، ليصل إلى مقر قيادة

المخابرات العلمية فى لمح البصر ، إلا أن الأوامر المشدّدة ، التى يلتزم بها كل العاملين فى هذا الجهاز الأمنى ، البالغ الحساسية والخطورة ، كانت تمنعه من هذا ، وتحتم عليه طاعة أوامر وتعليمات الأمن العام ، باعتباره قدوة لكل مواطن صالح ، مما اضطره إلى الاحتمال والصبر ، طوال عشرين دقيقة كاملة ، حتى بلغ المقر ، وهناك استقبله رئيس الأمن ، وهو يقول فى لهفة :

- مرحبًا يا سيِّد (اكرم) .. ارجو أن تعاوننا فى إنهاء إجراءات الأمن بسرعة كافية ، فالقائد الأعلى ينتظرك مع المقدَّم (نور) على أحرّ من الجمر .

بُهِتَ (اكرم) للعبارة ، وحدَّقَ فى وجه رئيس الأمن فى دهشة ، قائلاً :

- هل تعنى اننى سالتقى بالقائد الأعلى هذه المرة ؟

دفعه رئيس الأمن نحو جهاز الفحص الأمنى ، وهو يقول :

- بالتاكيد يا سيِّد (اكرم) .. إنهما ينتظرانك بالفعل منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ومن الواضح أن الأمر عاجل وهام وخطير .

وحمل صوته حزم رجل خبر هذا النوع من العمل وهو يضيف :

- خطير للغاية ..

* * *

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، ثم اطلقه كزفرة حارة ملتهبة ، قبل أن يتطلَّع إلى (نور) و (اكرم) ، قائلاً :

- الأمر بالنسبة للعامة لا يعدو حدوث ظاهرة طبيعية ، أضاءت السماء فى قلب الليل ، وأطلقت موجة حارة محدودة ، ثم راحت تنحسر فى سرعة ، لتعود الأمور كلها إلى طبيعتها الأولى ، أما بالنسبة لنا ، فالأمر يختلف تمامًا ، إذ إن هذه الظاهرة تسبَّبت فى تدمير قاعدة القمر عن آخرها ، بكل من عليها وما عليها ، وكادت تخرج القمر نفسه عن مداره الطبيعى ، وتدفعه نحو الأرض ، لولا رحمة الخالق (عزَّ وجلّ) .. ولقد قدَّر الخبراء قوة ذلك الانفجار بما يعادل ستة آلاف قنبلة نووية(*) من

(*) القنبلة النووية : سلاح ينفجر عن طريق تفاعل نووى انشطارى متسلسل ، تم استخدام تجاربه الأولى فى الحرب العالمية الثانية فى (هيروشيما) ، فى السادس من أغسطس عام ١٩٤٥ م ، وهو يعطى طاقة هائلة ، وموجة تضاغط رهيبة ، بحيث تكفى القنبلة الواحدة لتدمير ثلثى مدينة مثل (القاهرة) فى دقائق معدودة .

الطراز المعدّل ، الذى يفوق مثيله من القنابل النووية فى القرن العشرين بعشر مرات تقريبًا ، ولا أحد يدرى من أين ولا كيف حدث انفجار هائل كهذا ، دون إنذار مسبق ، ولا ريب عندنا فى أن السر كله يكمن فى أعماق واطلال قاعدة القمر ، التى تلقّت القسم الأكبر من الصدمة التضاغطية له .

ساله (نور) فى اهتمام :

- الم ترسل قاعدة القمر أية رسائل أو إشارات إلى القاعدة الأرضية الرئيسية ، قبل حدوث الانفجار ؟

هزّ القائد الأعلى راسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. يبدو أن الأمور قد تطوّرت بسرعة ، حتى انهم لم يجدوا وقتًا لإبلاغ القاعدة الأرضية ، أو انهم لم يتوقّعوا أن تتطوّر الأمور إلى هذا الحد ..

مط (أكرم) شفتيه ، وقال :

- ولماذا لا نفترض أن الانفجار قد باغتهم كما باغتنا ؟!.. اعنى انهم لم ينتبهوا إلى حدوث أى أمر عجيب ، حتى حدث الانفجار .

صمت القائد الأعلى لحظات مفكّرًا ، ثم أجاب فى حزم :

- كلاّ .. يمكنك استبعاد هذا الاحتمال تمامًا ،

فالمهمة الرئيسية لقاعدة القمر ، هى حماية الحدود الفضائية للأرض ، ومراقبة أية تغيرات غير طبيعية ، تحدث فى نطاق هذه الحدود ، والأجهزة التى زوّدت بها القاعدة تكفى ، مع الدوريات الفضائية ، لكشف أى جسم يعبر الحدود الفضائية ، حتى لو كان فى حجم مركبة صغيرة ، وهو أقل حجم يمكن أن يحوى مادة شديدة الانفجار ، كتلك التى أحدثت الظاهرة ، التى أطلقنا عليها اسم (ظاهرة الشمس الغامضة) ، وهذا يعنى أن قاعدة القمر قد انتبهت إلى وجود جسم ما ، داخل النطاق الفضائى الذى تراقبه ، وأنها قد حاولت التعامل معه مباشرة ، أو من خلال إحدى دورياتها الفضائية ، وهذا هو الأرجح ، نظرًا لبعد مركز الانفجار عن القاعدة ، ويعتقد خبراؤنا أن التعامل قد تمّ بين الدورية السابعة وذلك الجسم ، وأن الانفجار قد حدث كنتيجة لهذا التعامل ، ولكن كل هذا مجرّد افتراضات منطقية ، لا تستند إلى دليل مادى واحد .

غمغم (أكرم) فى شىء من الحماس :

- اعتقد أن مهمتنا هى البحث عن هذا الدليل المادى .

رمقه القائد الأعلى بنظرة صارمة ، دون أن يعلّق

على عبارته ، ثم تابع فى حزم :

- المشكلة الحقيقة ، التى تواجهنا الآن هى معرفة السبب الحقيقى لمثل هذا الانفجار ، الذى لم ترصد اجهزتنا مثله قط ، فى تلك المنطقة القريبة نسبيًا من الأرض ، وتحديد العوامل التى ادّت إلى حدوثه ، حتى يمكننا معرفة ما قد يحمله لنا المستقبل ، كنتيجة لما حدث ..

اعتدل (نور) ، وهو يساله :

- وما الذى يتوقّعه الخبراء يا سيّدى ؟

التفت إليه القائد الأعلى ، مجيبًا فى توتر :

- بل قل : ما الذى يخشونه يا (نور) ؟!

وعاد يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

- الواقع أن أكثر ما يخشاه العلماء أو يقلقهم بشدة ، هو احتمال أن يكون ذلك الانفجار الهائل قد حدث قبل موعده ، أو قبل أن يبلغ هدفه الرئيسى .

انعقد حاجبا (اكرم) فى شدة ، وهو يسأل فى حذر :

- وما هدفه الرئيسى بالضبط ؟

كان يعلم الجواب مسبقًا ، قبل حتى أن ينطق سؤاله ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، انتفض فى عنف ، عندما أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- الأرض .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، وانعقد حاجباه بدوره ، وهو يقول فى انفعال :

- رباه !.. لو أن هذا الافتراض صحيح ، فالأمر بالغ الخطورة بالفعل .

أوما القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (نور) ، فلو أن ذلك الانفجار حدث عند ارتطام الجسم المسبِّب له بالأرض ، لكان كفيلاً بنسفها عن آخرها ، وحذفها من المجموعة الشمسية إلى الأبد(*) .. وهذا يثير فى قلوبنا سؤالاً آخر .. أهذا هو الانفجار الأخير ؟!.. أو بمعنى أدق .. من يضمن لنا أن الذين أرسلوا إلينا تلك القنبلة المدمِّرة لن يبادروا بإرسال أخرى ، بعد فشل محاولتهم الأولى ؟

سأل (أكرم) فى توتر بالغ ، وقد أدرك مدى خطورة الأمر :

- وكيف يمكن حسم هذا الأمر ؟!

(*) المجموعة الشمسية : تتكوّن من الشمس ، وما يدور فى فلكها وحولها من كواكب وكويكبات وأقمار ومذنبات وشهب ، ومجموعتنا الشمسية تضمّ : (عطارد) ، و (الزهرة) ، و (الأرض) ، و (المريخ) ، و (المشترى) ، و (زحل) ، و (أورانوس) ، و (نبتون) ، و (بلوتو) ، بترتيب بُعد الكواكب عن الأرض .

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

- بمعرفة ما حدث بالضبط .. وما الذى سجلته القاعدة القمرية .

هزَّ (اكرم) رأسه ، وهو يقول فى شىء من العصبية :

- وكيف السبيل إلى هذا ؟ .. لقد اخبرتنا منذ قليل ان الانفجار نسف القاعدة القمرية نسفًا ، بكل من عليها وما عليها !!

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً :

- فيما عدا كرة المعلومات .

ردَّد (اكرم) فى حيرة وتساؤل :

- كرة المعلومات ؟!..

أجابه القائد الأعلى :

- نعم يا (اكرم) .. إنها كرة صغيرة ، فى حجم الكرة المستخدمة فى لعبة التنس(*) ، وهى اشبه بالصندوق الأسود ، الذى كانت تحمله الطائرات فى الماضى ، ولها نفس مهمته ، الا وهى تسجيل كل

(*) التنس : رياضة واسعة الانتشار تصلح للجنسين ، ولمختلف الأعمار ، وتمارس على ملعب صغير ، ارضيته مدكوكة او جامدة او خشبية ، او مزروعة بالنجيل ، وذلك فى الهواء الطلق ، او داخل جدران ، ولقد تم إدراج اللعبة فى بعض الدورات الأوليمبية ، ثم حذفت منها بعد دورة (باريس) ١٩٢٤م

ما تمرّ به القاعدة القمرية دقيقة بدقيقة ، وتخزينه على أسطوانات كمبيوتر مدمجة صغيرة ، يمكن العودة إليها فى اية لحظة ، لمعرفة اتصالات القاعدة ، وتحركاتها ، وكل ما صدر داخلها من اوامر ، فى اى وقت من الأوقات ، وكرة المعلومات هذه مثل الصندوق الأسود ، مصنوعة من مادة شديدة المقاومة للانفجارات ، بحيث تبقى سليمة ، حتى ولو تعرَّض المكان كله لكارثة طبيعية او صناعية ، حتى يمكننا معرفة الأسباب التى ادَّت إلى ماحدث .

هتف (اكرم) :

- هل تعنى ان كرة المعلومات هذه قد بقيت فى قاعدة القمر ، بعد ان تم تدميرها بالكامل ؟!

اشار القائد الأعلى بسبَّابته مرة ثانية ، قائلاً :

- بالضبط .. إنها مصمَّمة بحيث يحتاج الأمر إلى انفجار نووى مباشر لانتزاعها من مكانها ، وهذا يعنى انها مازالت فى موقعها بنسبة تسعة وتسعين فى المائة ، وكل المطلوب هو ان ينطلق البعض إلى القمر لاستعادتها .

قال (نور) فى عزم :

- ايعنى هذا ان الاختيار قد وقع علينا ، (اكرم) وانا ، للقيام بهذه المهمة ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط .. ولكنكما لن تكونا وحدكما فى هذا الأمر ، فالمهمة ليست أبدًا بالبسيطة ، إذ إننا نجهل تمامًا ما حدث هناك ، وما يمكن أن تتطوّر إليه الأمور فيما بعد ، لذا فقد عقد مجلس التعاون الفضائى اجتماعًا طارئًا فجر اليوم ، واتخذ قراره بإرسال فريق خاص لبحث الأمر ، مع كل الاستعدادات اللازمة للتصدّى لأى تطوّر محتمل ، وبناء على ما اتخذه المجلس من قرارات ، تم إسناد قيادة هذه الحملة لك يا (نور) ، كما أصبح (أكرم) مسئول الأمن الخاص للفريق .

بدا مزيج من التوتر والاهتمام والجدية على وجه (نور) ، فى حين امتلأت نفس أكرم بالفخر والزهو ، وقال فى حماس :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سيِّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهِّمًا ، وقال :

- هذا ما أتوقّعه منكما ، وما ينبئ به تاريخكما ، ولكننى أريد أن تدركا أن هذه المهمة ستحمل الكثير من التعقيدات ، وخاصة لأن فريقكما سيضمّ اثنين من الروس ، ومثلهما من الأمريكيين ، بالإضافة إلى ضابط ألمانى ، وثلاثة من الأشقاء العرب ، ثم إن

النتائج التى ستسفر عنها المهمة قد يتوقّف عليها مصيرنا جميعًا .. بل مصير الأرض كلها .

دوّت العبارة فى آذان (نور) و (أكرم) ، وشعر كل منهما بمسئولية هائلة تثقل كاهله ..

مسئولية تعنى مصير كوكب الأرض بكل ما عليه ..

ومن عليه .

* * *

٣ - القمر..

« من مكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) إلى القاعدة الأرضية .. وصلنا إلى مدار القمر ، ونستعد للهبوط على سطحه بعد ست عشرة دقيقة من الآن .. » .

تردّد ذلك النداء داخل حجرة الاجتماعات الخاصة فى المكوك ، فى نفس اللحظة التى تم بثه فيها إلى الأرض ، واستمع إليه المجتمعون فى صمت ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- كما سمعتم أيها السادة .. سنهبط على سطح القمر (بإذن الله) ، بعد ست عشرة دقيقة ، وعندئذ تبدأ مهمتنا ، ولقد اجتمعت بكم الآن ؛ لتحديد أهداف هذه الحملة بالضبط .. لقد أتينا إلى هنا لعدد من الأسباب .. أهمها استعادة كرة المعلومات ، ومعرفة ما حدث بالضبط ، وما أدّى إلى حدوث هذه الكارثة الفضائية الرهيبة ، التى تعدّ الأولى من نوعها ، منذ بدأ عصر الفضاء فى القرن الماضى(*) ، وعلينا أيضًا أن ندرس ما أصاب القاعدة القمرية ، وأن نجمع كل

(*) يقدّر بعض العلماء بداية عصر الفضاء برحلة السوفيتى (جاجارين) ، الذى كان أول بشرى يصعد إلى الفضاء ، بالسفينة (فوستوك - ١) فى (١٢ أبريل ١٩٦١ م) ، ولقد استغرقت رحلته ساعة و ٤٨ دقيقة بالضبط .

ما يمكننا من معلومات وعينات ، ليعاد فحصها ودراستها فى معامل الأبحاث الأرضية ، ومن هنا أيضًا ، وفى الجانب المظلم من القمر بالتحديد ، وهو الجانب الذى لا تراه الأرض قط(*) ، سنبدأ عملية رصد للظاهرة ، نظرًا لأن مركز الانفجار مازال غامضًا لا يبعث أى نوع من النشاط الإشعاعى مما يثير اهتمام علمائنا وقلقهم ..

ومن الطبيعى أيضًا أننا سنطلق مركبة فضائية لفحص ذلك المركز عن قرب ، مع اتخاذ كل الاحتياطات الخاصة بتأمينها هناك .. أما آخر سبب لوجودنا هنا ، فهو البحث عن احتمالات وجود أحياء بين حطام القاعدة القمرية ، و ...

قاطعة صوت أجش ، يقول بالروسية :

- هراء .

التفت الجميع إلى الروسى (فيدور نازسكى) ، الذى مطّ شفتيه ، مستطردًا :

- بعد كارثة كهذه ، أعتقد أنه من السخرية أن نأمل فى وجود أحياء هنا .

(*) بسبب دوران القمر حول الأرض ، ومساره المحدود ، فإنه يواجه الأرض دائمًا بأحد نصفيه ، فى حين يظل النصف الآخر مختفيًا باستمرار .

قال (اكرم) فى صرامة :

- لا يمكننا إهمال هذا الاحتمال .

اجابه (نازسكى) فى غلظة قاسية :

- بل ينبغى أن نتجاهله تمامًا ، فلو افترضنا جدلاً ، وهذا افتراض مضحك فى رأيى ، أن بعضهم قد نجا من كارثة رهيبة ، سحقت القاعدة سحقًا ، فكيف نتوقع أن يظلّ هذا البعض على قيد الحياة ، بعد ثلاثة ايام من حدوثها ؟!

تبادل الجميع نظرة متوترة ، وكانما احدث قوله فعله فى نفوسهم ، ولكن (نور) اجاب فى حزم :

- إنه مجرّد احتمال ، ولن نتجاهله ، لانه جزء اساسى من برنامج الرحلة .

مطّ (نازسكى) شفتيه ، وقال :

- فليكن .. ارهقوا انتم انفسكم فى دراسة هذا الاحتمال السخيف ، اما انا فساكتفى بالبحث عن كرة المعلومات وحدها .. هذا هو الهدف الرئيسى فى رأيى .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة شديدة ، وهو يقول :

- مهلاً يا سيّد (نازسكى) .. من الواضح انك لم تفهم او تستوعب بعد موقعك فى هذه الحملة .. إنك

هنا ، ومهما بلغت رتبتك فى موطنك ، مجرّد جندى ، عليك أن تطيع كل مايصدر إليك من اوامر ، وأن تؤدّى كل ما يسند إليك من مهام .. هل يمكنك استيعاب هذا ؟

التقى حاجبا (نازسكى) الكثين ، ومطّ شفتيه فى امتعاض ، وهو يشيح بوجهه غاضبًا ، دون أن يعلّق على عبارة (نور) ، فى حين اندفع الأمريكى (ستيف واتسن) يقول :

- انا ايضًا لدىّ اعتراض .

ساله (اكرم) فى شىء من الضجر :

- على النقطة نفسها .

اجابه (واتسن) فى حدة :

- كلاّ ، ولكن على استئثار المصريين بكل المراكز القيادية هنا .. إنكم تراسون الحملة ، وتتولّون مسئولية الأمن ، وقيادة المكوك ، فما الذى تبقّى لنا ؟

احتقن وجه (اكرم) ، وهمّ بقول عبارة عصبية ، لولا أن سبقه (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- كم يدهشنى قولك هذا يا سيّد (واتسن) ؟!.. هل نسيت أن قاعدة القمر ، التى دُمّرت عن آخرها ، كانت بكل ما عليها ومن عليها ، مصرية خالصة ؟!

هزّ (واتسن) كتفيه ، قائلاً :

- ولكن الكارثة عالمية .

أجابه (أكرم) فى حدة :

- والمجلس الذى اقرّ هذه المناصب واعتمدها عالمى ايضًا ..

قال (واتسن) فى حدة مماثلة :

- ربما ، ولكنه وضع فى اعتباره ..

قاطعه (نور) بإشارة صارمة ، وهو يقول :

- مهلاً إيها السادة .. لسنا هنا لمناقشة امور تم إقرارها بالفعل .. إننا هنا لتنفيذ ما لدينا من مهام فحسب ، وبناء على هذا ، فسنغلق باب المناقشة فى هذا الموضوع ، وسنستعد جميعًا لبدء المهمة ، فور هبوطنا على سطح القمر .

ثم اشار بسبّابته مستطردًا :

- سننقسم إلى ثلاث فرق بحث ، وفرقة لإعداد مركبة الفضاء ، التى ستنطلق إلى مركز الانفجار وحراسة المكوك .. وستتكوّن الفرقة الأخيرة من أربعة رجال .. (غسان) و (سليم) ، والامريكى (بل كيندرمان) ، والالمانى (فردريش اوتو) .. أما فرق البحث الثلاث ، فستتكوّن كل منها من اثنين .. (ناتاشا كوربوف) و (فيدور نازسكى) فى الفرقة الأولى ، و (خالد) و (ستيف واتسن) فى الفرقة الثانية ، و (أكرم) وانا فى الفرقة الثالثة ..

وسنبدأ عملية البحث فى ثلاث محاور فى آن واحد ، وسنلتقى مرة ثانية عند المكوك ، بعد ساعتين من الآن .

وشدّ قامته ، وهو يعتدل مضيفًا فى حزم :

- وليعلم الجميع أن التازر وطاعة الأوامر أمر حتمى ، منذ هذه اللحظة ، وإلا فقد تصبح النتائج وخيمة للغاية .

أطلق (نازسكى) ضحكة ساخرة مبتورة ، قبل أن يقول :

- ومن ادراك أن النتائج لن تصبح وخيمة ، دون أن يكون لنا شأن فى هذا ؟!

سألته زميلته (ناتاشا) فى قلق :

- ماذا تعنى بالضبط ؟!

اشار بيده إلى أعلى ، قائلاً فى حدة :

- اعنى من ادراكم اننا لن نذهب بدورنا ضحية كارثة جديدة ؟!

هبط قوله على الجميع كالصاعقة ، فتبادلوا نظرات ملؤها التوتر والقلق ، وتفجّر فى رءوسهم السؤال نفسه ..

نعم .. من يدرى أن كارثة جديدة لن تحدث ؟!.. من ؟!..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى فى توتر بالغ ، وهو يراجع الصور التى قدمها له الدكتور ناظم ، قبل ان يرفع عينيه إلى هذا الأخير ، متسائلاً :

- ولماذا تقلقكم هذه الصور بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟!..إنها تبدو لى مجرد صور فلكية لمركز ذلك الانفجار الغامض !!

اشار الدكتور (ناظم) إلى الصور ، قائلاً :

- هذا صحيح يا سيدى ، ولكن إلى اى مواقع تلك الصخور الفضائية حول المركز ؟ إنها تتغير فى كل لقطة عن الأخرى ، ثم إن بعضها قد اختفى فى اللقطات الأخيرة .

راجع القائد الأعلى الصور مرة اخرى ، قبل ان يسأل فى حذر قلق :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟.. اليس من الطبيعى أن يتغير موضع تلك الأحجار الفضائية باستمرار ؟!.. إنها مجرد شظايا متناثرة ، لا يستقر لها مقام قط ، وهى لا تمثل خطرًا كبيرًا للملاحة الفضائية فى الواقع .

لوح الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- ولكن كيف اتت إلى هذا الموقع بالذات ؟!.. المفترض أن الانفجار قد ادى إلى موجة تضاغطية

عنيفة ، كادت تخرج القمر نفسه عن مساره ، فكيف لم تُلق تلك الصخور والشظايا الصغيرة بعيدًا ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يغمغم :

- حقًا ! .. كيف لم يحدث هذا ؟!

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وقال :

- لقد درسنا هذا الأمر ، وتوصل احد علمائنا إلى ان التفسير الوحيد لوجود الصخور والشظايا الصغيرة فى هذه المنطقة ، هو انها قد انجذبت إلى هناك ، من خلال موجة تخلخل قوية ، اعقبت موجة التضاغط ، التى احدثها الانفجار .

قال القائد الأعلى فى بطء :

- وهل بدا هذا التفسير منطقيًا ؟!

اوما الدكتور (ناظم) براسه إيجابًا ، قبل ان يقول فى انفعال :

- فى البداية فحسب ، وحتى اعاد عالم آخر دراسة الصور ، ثم خرج بتفسير آخر ..

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- تفسير مخيف للغاية .

ردد القائد الأعلى ، وقد تضاعف توتره :

- مخيف ؟!

اجابه الدكتور (ناظم) :

- وللغاية ايها القائد الأعلى ..

قالها ، واخرج من حقيبته جهاز عرض للشرائح المصوّرة ، واوصله بالكمبيوتر ، ثم ضغط زرًا ، فظهرت الصور الفلكية على شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

- لقد رتّب العالم هذه الصور ، وعرضها فى تتابع منتظم على هذا النحو .

راحت الصور تتعاقب على الشاشة ، فى تتابع منتظم ، فبدا تغير مواضع الصخور الفضائية والشظايا الصغيرة واضحًا ، مما جعل القائد الأعلى يغمغم :

- إنها تغير مواضعها بالفعل .

اشار إليه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- ليس هذا فحسب .. انتظر حتى يتم عرض الصور بنفس التتابع ، ولكن بسرعة اكبر .

وبضغطة زر اخرى ، بدأ الكمبيوتر يعرض الصور بالسرعة الزائدة ، و ...

واتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ..

فامام عينيه ،على شاشة الكمبيوتر ، بدا مشهد واضح لدوّامة قوية ، فى قلب الفضاء ، تجذب إليها الصخور والشظايا الصغيرة ، نحو بقعة شديدة

السواد ، ثم تبتلعها تمامًا ..

وفى ذعر ، هتف القائد الأعلى :

- ما هذا بالضبط ؟!

اجابه الدكتور (ناظم) بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

- دوّامة ايها القائد الأعلى .. دوّامة تنشأ فى مركز الانفجار ، وتجذب إليها كل ما حولها من أجسام صغيرة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- كمرحلة أولى .

تراجع القائد الأعلى بمقعده فى توتر بالغ ، واتسعت عيناه عن اخرهما ، وهو يشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

- اتعنى أن هذا الشىء يمكن أن يتطوّر ؟

اومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- اكثر من سبعين فى المائة من علمائنا رجّحوا هذا .. لقد تسبّب الانفجار الهائل فى حدوث فجوة ما ، فى أعماق الفضاء ، وكما يحدث عندما تنتزع سدادة الحوض ، فقد أدّى حدوث هذه الفجوة إلى تكوّن دوّامة فضائية ، آخذة فى الاتساع ، وستتضاعف قوة جذبها لما حولها بالتدريج ، حتى

انها ستصبح قادرة على ابتلاع القمر نفسه بعد فترة وجيزة ، ثم ..

بتر عبارته بغتة ، وحملت ملامحه توترًا بالغًا ، جعل القائد الأعلى يتمتم :

- ثم ماذا ؟!

ارتجف صوت الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يجيب :

- ثم ياتى دور الأرض .

وفى هذه المرة ، ارتجفت كل ذرة فى كيان القائد الأعلى ..

ارتجفت بحق ..

* * *

« هذا الأمر لا يروق لى .. »

غمغم (أكرم) بالعبارة فى حنق ، وهو يعبر مع (نور) أحد الممرات نصف المتهدِّمة ، فى أطلال قاعدة القمر ، ولوَّح بذراعه فى بطء ، داخل زيه الفضائى ، مستطردًا :

- كان ينبغى أن نحضر وحدنا إلى هنا ، بدون هؤلاء المزعجين ، الذين يشعلون قضايا تافهة ، فى ظروف كهذه .

تجاوز (نور) قطعة من الحطام ، وهو يقول :

- لم يكن من الممكن أن نفعل ، فمجلس التعاون الفضائى لا يضمنا وحدنا ، بل يضمّ الروس والأمريكيين والأوروبيين ايضًا ، وكان من المحتم أن ينضمّ إلى حملتنا ممثلون لكل فئة .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، متمتمًا :

- ولكننى لا اشعر بالارتياح ، إلا عندما نتولَّى الأمر وحدنا .

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- للضرورة أحكام .

عاد (أكرم) يمطّ شفتيه ، واضاء مصباحه اليدوى الصغير ، عبر تلك المنطقة المظلمة من الممر ، وهو يسأل (نور) :

- أأنت واثق من اننا نتخذ الطريق الصحيح ، الذى يقودنا إلى تلك الكرة ؟

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

- بالطبع .. إننى أحفظ موقعها عن ظهر قلب .

ساله فى حيرة :

- لماذا لا يعلم به الآخرون إذن ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

- لأن هذا الموقع سرى للغاية يا صديقى .. لا يجوز ابدًا أن يعرف أى مخلوق موقع كرة

المعلومات .. حتى العاملون فى القاعدة يجهلون هذا الموقع ، إلا أصحاب الرتب الكبيرة منهم ؛ لأن تلك الكرة تحوى فى المعتاد أدق أسرار القاعدة ، وكل تفاصيل اتصالاتها ورسائلها ، وحتى تحركاتها ، ومن الخطر .. كل الخطر ، أن يحصل أى شخص على تلك المعلومات .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- لماذا اصطحبنا هؤلاء معنا إذن ؟!

تنهد (نور) ، مجيبًا :

- أخبرتك أن هذا حتمى ، وأن ..

قاطعته شهقة مكتومة من (أكرم) ، نقلتها أجهزة الاتصال المحدودة ، فالتفت إليه فى سرعة ، هاتفًا :

- ماذا هناك ؟

أشار (أكرم) إلى جثة أحد العاملين بالمحطة ، وهو يجيب فى عصبية :

- لا تقلق نفسك .. إنه مجرد انفعال بدائى .. يبدو أننى لن أعتاد أبدًا مرأى جثث هؤلاء المساكين ، المتناثرة فى كل مكان هنا .

أشاح (نور) بوجهه فى مرارة ، قائلاً :

- كانت كارثة رهيبة بحق .

تمتم (أكرم) :

- هذا يبدو واضحًا .

كان من الواضح أنهما قد تأثرا كثيرًا بذلك المشهد ، فقد لاذا بالصمت لفترة بعده ، وهما يقطعان الممر الطويل ، وينحرفان منه إلى ممر آخر ، ثم يهبطان بضع درجات فى سلم قصير ، قبل أن يتوقفا أمام باب معدنى كبير ، أشار إليه (نور) مغمغمًا :

- ها هى ذى !

ساله (أكرم) فى لهفة واهتمام :

- الكرة هنا ؟!.. أين هى ؟!

أجابه (نور) ، وهو يقترب من ذلك الباب الكبير :

- خلف هذا الباب .

تطلع (أكرم) إلى الباب فى حيرة ، وبحثت عيناه عن مقبض ، أو رتاج ، أو أجهزة كمبيوتر ، أو حتى فجوة لبطاقة مغنطيسية ، يمكن استخدامها لفتحه ، ثم لم يلبث أن شعر بمزيج من الحيرة والحنق ، جعله يقول فى عصبية :

- وكيف يمكننا عبور ذلك الباب ؟!

أجابه (نور) ، وهو يخرج من حزام زيه الفضائى جهازًا صغيرًا ، فى حجم ساعة يد عادية :

- إنه باب خاص ، مزود بنظام أمنى حديث ، شديد التعقيد ، ولا يمكن فتحه إلا باستخدام هذا

ثم يهبطان بضع درجات فى سلم قصير ،
قبل أن يتوقفا أمام باب معدنى كبير ..

الجهاز الذى يحوى شفرة كمبيوتر سرية للغاية ، يستحيل التقاطها أو تسجيلها ، أو تقليدها .

تطلّع (اكرم) إلى الجهاز الصغير فى يد (نور) ، ثم قال فى توتر :

- قل لى يا (نور) : لماذا تضعوننى دائمًا فى خانة الأشخاص ، الذين لا يحق لهم معرفة اية تفاصيل ، إلا عند الضرورة القصوى ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، والصق الجهاز بالباب الكبير ، قائلاً :

- انت وحدك تتصوّر هذا .

هتف (اكرم) مستنكرًا :

- انا وحدى ؟!.. تقول : انا وحدى ؟!.. عجبًا !.. الم تنتبه إلى ان هذا يتكرّر فى كل مرة ؟!

لم يلتفت إليه (نور) ، ولم يبد حتى انه يشعر بوجوده ، او انه قد سمع حرفًا واحدًا مما قاله ، وهو يضغط ازرار الجهاز فى دقة وسرعة ، ثم ينتظر ..

ولثوان ، لم يبد الباب اية استجابة لإشارة الجهاز ، ثم لم يلبث ان اهتزّ قليلاً ، وتحرك لبضعة سنتيمترات ، و ...

وكفى ..

توقّف بغتة ، دون ان يواصل طريقه ، وتجمّد فى

مكانه ، كما لو ان الإشارة السرية لم تكتمل ..

وفى توتر شديد ، قال (اكرم) :

- مـا الذى حـدث بالضـبط ؟!.. لماذا يرفض هذا الباب اللعين الاستجابة ؟!

عـاد (نور) يلصق الجـهـاز الصـغـيـر بالبـاب ، ويضغط ازراره فى سرعة ، وهو يقول فى قلق واضح :

- لست ادرى بالضـبط .. المفـتـرض ان الإشـارة السرية سليمـة تمامًا ، ولقد استـجـاب لهـا البـاب بالفعل فى البداية ، ولست ادرى لماذا لم يكمل طريقه بعدها !!

قال (اكرم) فى اهتمام :

- ربما يحتاج إلى طاقة محركة ، ويفتقر إليها ، بعد تدمير القاعدة .

رفع (نور) مـصـبـاحـه اليـدوى إلى اعلى ، وهو يقول :

- كـلاً .. لو ان الأمـر كـذلك لما تحـرك من البداية ، ولما ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل ان يقول :

- آه .. هذا هو السبب .

رفع (اكرم) عينيه بدوره ، ورأى جزءًا منهارًا من سقف المكان ، يعوق مسار الباب ، فتمتم :

- من حسن الحظ ان هذا هو السبب .

اخرج (نور) مسدسه الليزرى ، وصوّبه إلى ذلك الجـزء المـنهـار ، وهـو يـبـعـد (اكرم) عن المكان ، قائلاً :

- احترس .. ساطلق الأشعة نحوه .

وضغط زناد مسدسه ، وانطلق خيط الأشعة نحو السقف المصقول ، واصاب الجـزء المنهار منه ، ثم انعكس على جدران الممر ، التى تألقت بفعله ، و ...

وعلى الضوء المباغت ، اتسعت عينا (اكرم) فى شدة ..

لقد وقع بصره على رجل فى زى فضائى مشابه لزيه ، ينقضّ عليه حاملاً مطرقة ضخمة ..

مطرقة تكفى لتحطيم خوذته ، و ...

وقتله ..

وسط أطلال قاعدة القمر ..

* * *

اندفع احد مساعدى الدكتور (ناظم) إلى مكتب هذا الأخـيـر ، وهو يلوّح بورقـة فى يده ، قـائلاً فى اضطراب :

- سيّدى .. اجـهـزتنا اعـتـرضت بثًا لاسلكيًا ، من مكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) إلى الأرض .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم فى دهشة :

- اعترضت ؟!.. ولماذا تعترض اجهزتنا بثًا لاسلكيًا من المكوك ؟!.. لماذا لم تستقبله على نحو طبيعى ؟!

أجابه الرجل فى توتر :

- لأن ذلك البث لم يكن موجُهًا إلينا يا سيِّدى .. لقد استخدم موجة اخرى ، بخلاف الموجة الرئيسية ، وكأنما يحاول مرسله تمريره ، دون أن ننتبه إليه ، ولقد استخدم شفرة خاصة أيضًا .

انغرست العبارة الأخيرة فى رأس الدكتور (ناظم) كخنجر مسموم ، فانتفض جسده فى عنف ، هاتفًا :

- شفرة خاصة ؟!.. ولماذا يبث شخص ما رسالة بشفرة خاصة من المكوك ؟!

ناوله الرجل الورقة ، وهو يقول :

- لقد بذلنا جهدًا حقيقيًا لفك الشفرة ، ولكنك لو قرأت الرسالة ، فستدرك لماذا فعل مرسلها هذا ؟

التقط الدكتور (ناظم) الورقة فى قلق ، وراح يلتهم محتوياتها بعينيه فى لهفة ، قبل أن يهتف فى ارتياع :

- رباه !.. لابد أن نبلغ القائد الأعلى شخصيًا بهذا الأمر .. لابد .

فقد كانت الرسالة تقول فى اختصار :

- وصلنا إلى القمر .. سابذل قصارى جهدى للحصول على كرة المعلومات ثم اتخلَّص من الجميع حسب الخطة .. (ألفا) .

وكان هذا يعنى ، وبكل وضوح ، انه يوجد جاسوس خطير بين أفراد حملة القمر ..

جاسوس يضيف إلى المهمة خطرًا جديدًا ..

وقاتلاً .

* * *

٤ - من أجل البقاء ..

لحظة واحدة ، اضيء خلالها المكان ، فلمح (اكرم) ذلك الشخص ، الذى يهوى على خوذته بمطرقة ضخمة ..

لحظة ، تفجرت فى راسه فيها فكرة واحدة ..

انه لو اصابت تلك المطرقة خوذته ، وحطمتها ، فإنه سيلقى مصرعه فى اعماق اطلال قاعدة القمر ، باسوا وسيلة موت ممكنة ..

سينخفض الضغط بغتة ، ويتلاشى الهواء دفعة واحدة ، فتجحظ عيناه ، وينتفخ وجهه ، وتنفجر رئتاه ، و ...

وقبل ان تبلغ المطرقة هدفها ، بدا رد فعله ..

لم يكن من الممكن ابدًا ان يتحرك بسرعة كبيرة ، فى وسط له جاذبية منخفضة ، تبلغ سدس جاذبية الأرض ، إلا ان خصمه ايضًا لم يكن باستطاعته أن يتحرك اسرع منه ، لذا فقد تراجع (اكرم) إلى الخلف ، ورأى المطرقة تعبر على قيد سنتيمترات قليلة من خوذته ، قبل ان يرفع يده ، ويقبض على معصم صاحبها ، هاتفًا عبر جهاز الاتصال المحدود :

- اللعنة ! .. إنه هجوم يا (نور) .

قالها ، فى نفس اللحظة التى انفصل فيها ذلك

الجزء المحطَّم من السقف ، فتراجع (نور) بدوره ، والتفت إليه فى دهشة ، هاتفًا :

- هجوم ؟ !

كان (اكرم) قد قبض على معصم خصمه ، ولوى ذراعه خلف ظهره ، ثم دفعه امامه فى عنف ، وهو يقول فى حدة :

- اراهن على انك ذلك الأمريكى اللعين .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى العبارة ، والجزء المنفصل عن السقف يسقط على مقربة منه ، وتتناثر منه شظايا صغيرة ، لم ينتظر حتى تتوقف ، وإنما وثب إلى الأمام ، واطلق ضوء مصباحه اليدوى فى وجه الخصم ، الذى يقاوم (اكرم) فى استماتة ، وهذا الأخير يكبل حركته تمامًا ..

وفى دهشة بالغة ، هتف (نور) :

- رباه ! .. من هذا الرجل ؟

لم يكد ينطقها ، حتى راى (اكرم) يحدق فى شىء ما خلفه ، ويهتف :

- احترس يا (نور) .

وقبل حتى ان تكتمل عبارة (اكرم) ، انقضَّ شخص ما على (نور) من الخلف ، وتعلَّق بعنقه فى قوة ..

ولكن (نور) لم يكن ابدًا بالشخص الذى تسهل مباغته .. او بالشخص الذى يمكن ان تفقده المفاجاة توازنه ، او حسن تفكيره وتدبيره ..

لذا فقد تحرك بسرعة مدهشة ، فور تعلُق ذلك الشخص بعنقه ، ومال إلى الأمام ، وهو يدفع مرفقه إلى الخلف ، ليغوص فى معدة خصمه ، الذى تخلّى عن عنقه مع عنف الضربة ، فواصل (نور) ميله ، ودار حول نفسه بحركة بارعة ، أسقطت ذلك الشخص على ظهره ارضًا ، وقبل ان يستعيد توازنه ، انقضّ عليه (نور) ثانية ، و ...

« ياإلهى ! .. إنها فتاة ! ! .. »

انطلقت تلك الصيحة من حلق (نور) ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فاتسعت عينا (اكرم) فى دهشة بالغة ، وهتف :

- فتاة ؟ ! ..

ضغط (نور) زرًا فى حزامه ، لينتقل من موجة الاتصالات المحدودة إلى موجة الاتصالات العامة ، وسمع الرجل الذى يقبض عليه (اكرم) ، وهو يهتف فى غضب :

- اتركوها .. اتركوها ايها الأوغاد .

هتف به (نور) :

- من انتما ؟ ! .. هل نجوتما من الكارثة ؟ ! .

لم يبد على الرجل انه سمعه ، وهو يواصل مقاومته وصياحه ، فى حين حدّقت الفتاة فى وجه (نور) فى دهشة ، وهى تقول :

- بل من انتما ؟ ! .. إننى لم اركما فى القاعدة من قبل .

مدّ (نور) يده إليها ليعاونها على النهوض ، وهو يجيب :

- اسمى (نور) .. المقدّم (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .. إننا هنا فى حملة خاصة ، لبحث الأسباب التى ادّت إلى حدوث الكارثة.

اتسعت عيناها فى لهفة ، وهى تهتف :

- حملة ؟ ! .. حملة من الأرض ؟ ! .. رباه ! .. اتعنى اننا .. اننا قد نجونا ؟ !

ثم اندفعت نحو الرجل ، الذى لم يتوقّف عن المقاومة والصياح ، وهتفت به فى سعادة غامرة :

- إنهما من الأرض يا (عماد) .. من الأرض .. لقد حضرا لإنقاذنا .. لقد نجونا يا (عماد) .. نجونا .

واجهشت بالبكاء فى حرارة ، و (اكرم) يحدّق فيها بدهشة بالغة ، متمتمًا :

- نجوتما ؟ ! .. يا إلهى ! .. السؤال هو : كيف

بقيتما على قيد الحياة ، طوال الفترة السابقة ؟ !

اما الرجل ، فقد توقف بغتة عن المقاومة والصياح ، وتطلع إليها بنظرة مشفقة ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

- لا تبكى يا (نادية) .. لا تبكى يا حبيبتى .. لا تفقدى الأمل قط .. انا واثق من اننا سننجو .. لن نلقى مصرعنا هنا قط .

انعقد حاجبا (نور) فى دهشة لهذا القول ، فى حين نقل (اكرم) بصره بينهما فى حيرة ، ورفعت الفتاة يدها ، تتحسس خوذة رفيقها بقفازها السميك ، وكانها تربت على وجهه ، وهى تقول فى حنان :

- يالك من تعس ! ! .. لقد نجونا بالفعل ياحبيبى .. المعجزة تحققت .. نجونا بالفعل .

زاغت نظراته ، وبدت فى عينيه حيرة كبيرة ، وهو ينقل بصره بين (نور) و (اكرم) ، قبل ان يقول كطفل صغير حائر :

- نجونا ؟ ! هل تعتقدين هذا ؟

هتف (اكرم) فى دهشة :

- ماذا دها هذا الرجل ؟

اجابته الفتاة فى أسى :

- إنه مصاب بصدمة عصبية .. المسكين لم يحتمل الموقف ، وانهارت أعصابه بسرعة .. لقد بدا لنا أن موتنا آت لا ريب ، فى ذلك القبر البارد ، على بعد آلاف الكيلومترات من اهلنا واحبائنا .

سالها (نور) فى شىء من الحذر :

- كيف نجوتما من الكارثة ؟ !

هزّت راسها ، مجيبة :

- لست ادرى .. إننا لم نفهم حتى ماذا حدث .. إننا نعمل فى قسم الصيانة ، ولقد تلقينا امرًا بفحص بعض توصيلات الكمبيوتر الرئيسية ، فى قاع القاعدة ، فهبطنا إلى هنا ، وفى اثناء عملنا شعرنا وكان القمر كله قد ارتجّ فى عنف .. ولما كانت تعليمات الأمن تقتضى ارتداء الزى الفضائى ، فور حدوث اى امر غير طبيعى ، فقد اسرعنا نرتدى الزى ، واتخذنا طريق العودة إلى السطح ، ولكننا فوجئنا بدمار هائل ، ونحن نشقّ طريقنا إلى هناك ، ثم واجهتنا الكارثة .

شهقت مع نهاية عبارتها ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وكانما تستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، قبل ان تواصل :

- فوجئنا بان كل شىء لم يعد له وجود .. القبة

الواقية اختفت ، وكل المبانى انسحقت عن آخرها ، وجثث القتلى فى كل مكان .. كان أمرًا رهيبًا .. رهيبًا.

قالتها ، وانفجرت باكية فى الم ، فتطلّع إليها رفيقها مشفقًا ، وربّت عليها فى عطف ، قائلاً :

- لا تبكى يا حبيبتى .. سننجو بإذن الله .. لا تبكى .

تحسّست خوذته مرة ثانية ، متمتمة من وسط دموعها :

- بالتاكيد يا حبيبى .. بالتاكيد .

ثم التفتت إلى (نور) ، وحاولت ان تبتسم ، مستطردة :

- اسوأ شىء فى ارتداء الزى الفضائى ، هو أن المرء لا يستطيع مسح دموعه .

وافقها (نور) بإيماءة صامتة من راسه ، فى حين ازدرد (اكرم) لعابه ، ليخفى انفعالاته الجيّاشة ، وهو يقول فى شىء من العصبية :

- ولكن خزان الاكسچين فى الزى الفضائى لا يكفى لاكثر من ثلاث ساعات .

اجابته فى خفوت :

- هذا صحيح .. لقد كنا نعلم هذه الحقيقة ، وهذا ما اصابنا برعب هائل ، وجعلنا نفتش كل ركن فى

القاعدة ، أو فيما تبقّى منها ، فى محاولة للعثور على خزانات اكسچين إضافية .

قال (نور) فى بطء :

- ومن الواضح أنكما عثرتما على مخزون كبير منها ؟

تنهّدت مجيبة :

- هذا صحيح .. لقد عثرنا فى القاع على المخزون الاحتياطى ، وكانت هناك اسطوانات عديدة محطّمة ، ولكن الأسطوانات المتبقية منحتنا الحياة طوال الأيام الماضية ، إلا اننا لم نعثر على جهاز اتصال واحد سليم ، يمكننا بوساطته طلب النجدة من الأرض .

وتطلّعت ثانية إلى رفيقها ، مستطردة فى عطف :

- ومع تناقص اسطوانات الاكسچين السريع ، بدات اعصاب (عماد) فى الانهيار .. المسكين لم يحتمل فكرة الموت اختناقًا ، فى هذا المكان .

تنهّد (اكرم) بدوره ، مغمغمًا :

- يمكننى تقدير شعوره هذا .

اما (نور) ، فقد سألها فى اهتمام :

- وكم تبقّى لديكما من اسطوانات الاكسچين ؟

ارتسمت ابتسامة مريرة على شفتيها ، وهى تشير إلى الأسطوانة المثبتة فى زيها الفضائى ، مجيبة :

- تلك التى نحملها على ظهرينا فحسب .

اطلق (اكرم) صفيرًا حادًا ، قبل ان يهتف :

- يا إلهى ! .. يبدو اننا قد وصلنا فى الوقت المناسب بالفعل .

عادت الدموع تتفجّر من عينيها ، وهى تقول :

- الم اقل لكما : إنها معجزة ! !

تطلّع إليها رفيقها مرة اخرى بتلك النظرة الذاهلة الحائرة ، وغمغم :

- اطمئنى يا (نادية) .. سننجو بإذن الله .

تبادل (نور) و (اكرم) نظرة صامتة ، ثم قال الأول :

- فليكن .. دعونا نحملكما الآن ، مع كرة المعلومات ، إلى المكوك ، فمن الضرورى ان يتمّ فحصكما طبيًا ومعمليًا ، حتى نتاكد من ان الكارثة لم تسبّب لكما اية اضرار كامنة ، او غير مباشرة .

شحب وجه الفتاة ، وهى تقول :

- هل ستجعلون منا فارى تجارب ؟

اجابها (نور) فى حزم :

- هذا لصالحكما .

بدا عليها توتر شديد ، ولكن (نور) اكمل فى هدوء :

- اعتقد ان بإمكانى إقناعكما بهذا ، عندما نصل إلى المكوك ، لذا فلنؤجّل الحديث حول امر الفحص ، حتى نصل إليه .

قالها ، وولف إلى الحجرة التى تحوى كرة المعلومات ، بعد ان انفتح بابها ، عندما ازيلت العقبة التى كانت تعترض طريقه ، وانحنى يعالج الرتاج الإلكترونى للخزانة الخاصة بالكرة ، فسالت الفتاة (اكرم) فى حيرة :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟ !

اجابها (اكرم) فى حماس :

إنه يستعيد جهازًا بالغ الاهمية والسرية ، لا تشغلى نفسك بامره ، فكلانا لا يفهم شيئًا مما يحويه .

ومع اخر حروف كلماته ، استجاب الرتاج الإلكترونى لاصابع (نور) ، وانفتحت الخزانة فى بطء ، فمدّ (نور) يده ، والتقط من داخلها كرة صغيرة مصقولة فى حجم كرة التنس ، ودسّها فى جراب خاص فى زيه الفضائى ، فابتسم (اكرم) ، وهو يقول للفتاة :

- لقد انتهى من هذا الجزء من المهمة ، ولا ...

قبل ان يتمّ عبارته ، دوى طنين مباغت فى اذنيه ، على نحو جعله يهتف فى الم :

- رباه ! .. ماذا أصاب جهاز الاتصال اللعين هذا ؟ !

ولكن نظرة واحدة منه إلى الفتاة والشاب ، جعلته يدرك انهما يعانيان مثلما يعانى ، فقد راح كلاهما يتلوّى فى عنف ، ويطلق صرخات الم قوية ..

أما (نور) فقد تراجع فى حركة حادة ، وأغلق عينيه فى قوة ، وهو يهتف :

- إنها ذبذبة فائقة .. بعضهم يسعى لإفقادنا وعينا يا (أكرم) .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكن تلك الذبذبة تصاعدت بسرعة ، حتى بدا وكأنها تخترق مخه ، من إحدى أذنيه إلى الأخرى ، فصرخ :

- ويبدو انه سينجح فى هذا يا (نور) .. اللعنة ! .. اللعنة .

قالها ، وهوى فاقد الوعى ، فى حين استنفر (نور) كل ذرة من إرادته ؛ ليحتفظ بوعيه ، وهو يضغط ذلك الزر الخاص ، الذى يلغى موجة الاتصال العامة ، ويعيد موجة الاتصالات الخاصة المحدودة ..

ومع ضغطة الزر ، انتهى الطنين ..

ولكن الألم لم ينته أو يتلاشى ..

لقد استمر لحظات أخرى ، سقط خلالها (نور) على ركبتيه ، وهو يقول فى صعوبة :

- (أكرم) .. أأنت بخير ؟ ! .. هل تسمعنى ؟

كان يقاوم فى استماتة غيبوبة عنيفة ، تصرّ على الإحاطة بعقله من كل جانب ، ولكنه شعر أنها ستنتصر لامحالة ..

وعلى الضوء الخافت ، المنبعث من مصباحه الملقى أرضًا ، لمح (نور) شخصًا ما ، فى زى فضائى ، يتجه نحوه فى خطوات سريعة نسبيًا ، ثم ينحنى ليلتقط كرة المعلومات ، فاستلّ مسدسه الليزرى ، بكل ما تبقّى من قواه ، وهتف فى ضعف :

- توقّف يا هذا ، وإلا ..

اعتدل ذلك الشخص بحركة حادة ، وكأنما لم يكن يتوقّع وجود من لم يفقد وعيه بعد ، وتراجع بسرعة ، فصوّب (نور) مسدسه إليه ، هاتفًا :

- أعد الكرة ، وإلا أطلقت الأشعة مباشرة .

تراجع ذلك الشخص أكثر وأكثر ، ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو نحو السلم ، بأقصى سرعة تسمح بها الجاذبية المنخفضة على القمر ..

وضغط (نور) زناد مسدسه الليزرى ..

ضغطه وتلك الغيبوبة العنيفة تحيط بعقله أكثر

واكثر ، وتجعل الصور أمام عينيه متموجة ، مهتزة ..

وانطلق شعاع الليزر ، وأصاب الجدار ، على قيد سنتيمترات قليلة من خوذة ذلك الشخص المجهول الذى راح يتسلق السلم هاربًا ، و (نور) يقول فى مرارة :

– رباه ! .. لقد استولى على كرة المعلومات .. استولى عليها .

ضغط زناد مسدسه ثانية ، ولكن ذلك الشخص كان قد اختفى تمامًا ، فاصاب شعاع الليزر طرف السلم ، وتلاشى مع وعى (نور) فى آن واحد ..

وخيّم سكون عميق على تلك الحجرة السفلية ، فى قاع قاعدة القمر ..

تلك الحجرة التى لا يعلم أحد فى الحملة موضعها ، سوى (نور) و (أكرم) ..

الحجرة التى ضمّت أربعة أجساد فاقدة الوعى ، وخلف ظهر كل منها أسطوانة أكسجين ، يتناقص منسوبها تدريجيًا ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

* * *

تجهّمت ملامح القائد الأعلى ، وانعقد كفاه خلف

ظهره ، وهو يدور فى حجرته الواسعة فى توتر عصبى ، ثم لم يلبث أن توقّف ، والتفت إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

– هذا الأمر بالغ الخطورة بالفعل يارجل .. الم يكن يكفينا امر تلك الدوّامة الفضائية العجيبة ، التى يتسع حجمها باستمرار ، وتهدّد بابتلاع كوكبنا كله ، حتى يأتى امر ذلك الجاسوس الذى يسعى للاستيلاء على أسرار قاعدتنا القمرية ، والتخلّص من افراد الحملة جميعًا ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

– إنها الأنانية البشرية ، التى ادّت إلى كل ما شهده العالم من دمار وتخريب ، عبر تاريخه الطويل .. هناك جهة ما تسعى لاستعادة تفوّقها السابق ، عن طريق الاستيلاء على كل ما من شانه أن يزيد معارفها ، ويضمن لها القفز فوق الآخرين ، فى مجال التقدّم و التكنولوچيا .

لوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى حنق :

– وما الذى يمكن أن يفيدوا به ، من معرفة أسرار قاعدتنا القمرية ؟! .. لقد تم تدميرها بالفعل ، كما انها لم تكن تمثّل خطرًا لأية دولة ، فى العالم أجمع .. إنها هناك لحماية الأرض كلها ، وليس لتهديدها .

اجابه الدكتور (ناظم) :

- ولكن ذلك الانفجار الهائل أسال لعاب البعض ، وبعث فى قلوبهم المريضة أملاً فى التوصل إلى مادة تدميرية لا مثيل لها ، يمكنهم تحويلها إلى سلاح مخيف ، يهددون به الآخرين ، ويجبرونهم على الخضوع .. إنها محاولة غبية اخرى لتزعُم العالم بالقوة والعنف .

غمغم القائد الأعلى :

- يا إلهى ! .. من يفكّر بهذه الوسيلة لن يتورّع قط عن القيام باى عمل ، مهما بلغت حضارته ، فى سبيل الحصول على ما يبتغى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- ولا بد من تحذير (نور) و (أكرم) .

قال الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- هذا ما أتيت لا ستشارتك بشانه .. لقد أعددنا رسالة شفرية تحذيرية ، ونحتاج إلى موافقتك ، لنبثّها مباشرة إلى المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) .

هتف القائد الأعلى :

- موافقتى ؟ ! .. فى مثل هذه الأمور لا تنتظر موافقتى يارجل .. إنها حالة طارئة .. أرسل التحذير على الفور .. لا بد أن ينتبه رجلانا إلى الخطر الجديد الذى يواجهانه .. لا بد .

والتقى حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

- ولندع الله (سبحانه وتعالى) .. أن يصلهما التحذير فى الوقت المناسب .. وقبل فوات الأوان ..

وكانت هذه بالفعل هى النقطة الأكثر خطورة ..

أن يصل التحذير فى الوقت المناسب ..

وقبل فوات الأوان ..

* * *

انتهى (غسّان) من عمله ، فى إعداد مركبة الفضاء الصغيرة ، وتراجع يلتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول لزميله (سليم) :

- أخيرًا .. على الرغم من أنها ليست المرة الأولى التى أقوم فيها بمثل هذا العمل ، إلا أننى أشعر بتوتر شديد هذه المرة ، وكاننى لم أعدّ مركبة فضائية للإطلاق قط .

اجابه (سليم) ، وهو يلقى جسده فوق أقرب مقعد صادفه :

- بل قل : إن كلينا يشعر بالإجهاد يارجل ، فلا تنس أننا فعلنا كل هذا وحدنا .

انعقد حاجبا (غسان) ، وهو يقول :

- نعم .. هذا صحيح .. لقد فعلناه وحدنا ..

وبمناسبة هذا القول : أين ذهب الألمانى

والامريكى ؟ ! .. إننى لم ار احدهما منذ ساعة كاملة !

هزَّ (سليم) راسه ، قائلاً :

- لست ادرى .. لقد لمحت (فردريش) يتجه نحو حجرة معادلة الضغط ، اما (كيندرمان) فلم اره بالفعل منذ اكثر من ساعة .

ساله (غسان) فى حيرة :

- وما الذى يفعله الالمانى عند حجرة معادلة الضغط ؟

تثاءب (سليم) مرهقًا ، قبل ان يجيب :

- لست ادرى .. ربما اراد الخروج إلى سطح القمر ، لتفقُّد ما حول المكوك .

بدا مزيج من الشكّ والقلق على وجه (غسّان) ، وهو يتمتم :

- عجبًا ! .. وما شانه بهذا ؟ !

لم يكد ينطق عبارته ، حتى انطلق ازيز خافت ، واضيء مصباح اخضر فى سقف القاعة ، فاعتدل قائلاً فى اهتمام :

- يبدو ان الجميع قد عادوا من جولتهم .

لم تمض دقائق على قوله هذا ، حتى كان (نازسكى) و (ناتاشا) يدلفان إلى القاعة ، والأول

يقول فى سخط ، وباسلوبه الخشن الفظ :

- كما كنت اتوقع تمامًا .. لا يوجد اثر لاحياء ، او حتى لمظهر من مظاهر الحياة .. لقد تم سحق هذه القاعدة بالكامل .. باللشيطان ! .. إننى لم ار شيئًا كهذا قط من قبل .. إنها تبدو كما لو ان قدمًا هائلة قد وطاتها ، دون ان تنتبه حتى إلى وجودها .

وهزَّت (ناتاشا) راسها ، متمتمة فى خفوت :

- نعم .. لقد بدا كل شيء بشعًا للغاية .

تجاهل (غسان) قولهما هذا ، وهو يسال فى اهتمام :

- اين الباقون ؟ !

هزَّ (نازسكى) كتفيه بلامبالاة ، واجاب :

- وما شاننا بهم .. لقد انتهينا من عملنا ، وهذا كل ما يعنينا ، اما عملهم فهو شانهم وحدهم .

لم يبد على (ناتاشا) الارتياح ، لاسلوب زميلها فى الرد ، فاسرعت تقول فى شيء من الرقة :

- (كيندرمان) فى الخارج ، والالمانى فى طريقه إلى هنا .. لقد لمحته ونحن ندلف إلى حجرة معادلة الضغط .. اما (واتسن) والعربى ، فلم ارهما منذ غادرنا المكوك .

سالها (سليم) فى قلق :

- وماذا عن القائد ؟!.. ماذا عن المقدَّم (نور) و (أكرم) ؟!

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تسأل :

- ألم يعودا بعد ؟!

تبادل (سليم) و (غسَّان) نظرة قلق ، فى حين لوَّح (نازسكى) بذراعه فى لامبالاة ، قائلاً :

- لا بأس .. أراهن على أن الجميع فى طريقهم إلى هنا .. هيا .. لا تقلقوا أنفسكم بلا سبب .. سأذهب للاغتسال ، وأستلقى فى فراشى قليلاً ، وإياكم أن تتجاهلوا إيقاظى ، عندما يحين موعد الطعام .

ظلّ (سليم) و (غسَّان) على صمتهما ، حتى انصرف (نازسكى) وتبعته (ناتاشا) ، ثم قال الثانى فى توتر ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

- عجبًا !.. أوامر القائد (نور) كانت تحتم العودة إلى المكوك ، قبل ساعة كاملة من انتهاء مخزون أسطوانات الأكسجين ، ولقد تجاوزنا هذه المهمة بدقائق عشر ، ولم يعد هو نفسه بعد .

أجابه (سليم) محاولاً تهدئته ، على الرغم من التوتر الماثل فى أعماقه :

- أنت تعرف القائد (نور) .. إنه لا يلتزم بحرفية الأوامر فى المعتاد .

قال (غسَّان) فى شىء من العصبية :

- ولكنها أوامره هو هذه المرة .

ومع آخر حروف عبارته ، انطلق ذلك الأزيز ثانية ، مع المصباح الأخضر فى السقف ، فهتف (سليم) فى لهفة :

- آه .. ها هم أولاء .

ولكن العائدين كانوا (كيندرمان) و (أوتو) و (واتسن) و (خالد) فحسب ، مما ضاعف من قلق (غسَّان) وتوتره ، فسألهم فى توتر :

- ألم ير أحدكم القائد (نور) وزميله (أكرم) ؟

تبادلوا جميعًا نظرة دهشة ، وقال (واتسن) :

- عجبًا !.. كنت أتصوَّر أنهما هنا ، وأننا آخر العائدين ، فقد مضت ربع الساعة على الموعد المحدود .

ساله (غسَّان) فى شىء من العصبية :

- ولماذا تأخَّرتما فى العودة ؟!

أجابه (خالد) هذه المرة :

- كنا نبحث عن أحياء ، فقد عثرنا على ممر سليم مغلق ، وتصوَّرنا أنه من المحتمل أن نجد بعض من يحتمون داخله ، ولكننا لم نعثر سوى على عدد من جثث الضحايا المساكين .

مطَّ (واتسن) شفتيه ، وقال :

- يبدو انهم حاولوا الاحتماء بالممر ، داخل ازيائهم الفضائية ، إلا أن مخزون الأكسجين لم يمهلهم حتى وصول النجدة ، فلقوا مصرعهم اختناقًا .

عضّ (سليم) شفتيه فى قوة ، وهو يتمتم فى ألم :

- يا للمساكين !.. يا لها من ميتة بشعة !!

تنهّد الألمانى ، متمتمًا :

- بالتأكيد .

ثم شدّ قامته ، واستطرد بتلك الصرامة الألمانية التقليدية :

- فليكن .. دعونا نحصل على قدر من الراحة ، حتى يعود القائد ورفيقه ، ثم ندرس ما ينبغى فعله فى المرحلة القادمة .

انصرف كل منهم من القاعة ، وبقى (سليم) و (غسّان) وحدهما ، والقى هذا الأخير نظرة بالغة التوتر على ساعة يده ، وهو يقول :

- عشرون دقيقة مضت على الموعد المحدود ، ولم يعد القائد و (اكرم) بعد .. هذا لا يبدو لى طبيعيًا على الإطلاق .. اخشى أن يكون قد اصابهما

مكروه ما ، خاصة وانهما لم يحاولا إرسال إشارة لتبرير تاخرهما .

ساله (سليم) فى قلق شديد :

- وما الذى يمكننا فعله فى هذا الشان ؟!

هزَّ (غسّان) راسه ، قائلاً :

- لست ادرى .. إننا نجهل حتى المسار الذى اتخذاه .. يا إلهى !.. اراهن على ان هذا الأمر غير طبيعى .. غير طبيعى على الإطلاق .

لم يدر ، وهو ينطق عبارته هذه ، ان (نور) و (اكرم) كانا يرقدان فى اعماق قاعدة القمر فاقدى الوعى ، مع (نادية) و (عماد) ، وان فرصة بقائهم على قيد الحياة تنخفض مع كل دقيقة تمضى ..

وتنخفض ..

وتنخفض ..

وتنخفض ..

* * *

٥ - الأمل ..

فجاة ، استعاد (نور) وعيه ...

استيقظ عقله دفعة واحدة ، وانطلق فى جسده دفقة من النشاط ، جعلته يعتدل بغتة ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! .. (أكرم) .

كان المصباح اليدوى الملقى ارضًا ما زال يعمل ، ويجعل الرؤية ممكنة نسبيًا ، على الرغم من الزاوية التى يتخذها ، فى مواجهة أحد الجدران ، فراى (نور) اجساد (أكرم) و (عماد) و (نادية) من حوله ، وكلهم غارقون فى غيبوبة عميقة ، فنهض والقى نظرة على ساعة يده ، قبل ان يهتف فى ارتياع :

- رباه ! .. لم يعد امامنا سوى ست وثلاثون دقيقة ، قبل ان ينفد مخزون الاكسچين ، والعودة إلى المكوك تحتاج إلى عشرين دقيقة بسرعة متوسطة .

لم يكن يدرى كم استهلك (عماد) و (نادية) من اسطوانتى الاكسچين الخاصتين بهما ، ولكنه ادرك جيدًا انه ما من جدوى من بذل الجهد ، فى محاولة معرفة هذا ، إذ إن الوقت يمضى فى سرعة ، وعليه ان يستغل كل دقيقة لإسعاف الجميع ، وإعادتهم إلى المكوك ..

وعلى الرغم من ثقته بان إشارته اللاسلكية

لا يمكنها بلوغ المكوك ، من ذلك الموضع ، فى اعماق القاعدة ، إلا انه هتف ، وهو يعيد جهاز اتصاله إلى موجة البث العام :

- من (نور) إلى المكوك .. نحتاج إلى نجدة عاجلة .. نريد اربع اسطوانات اكسچين على الفور .

لم يتلقَ جوابًا على ندائه بالطبع ، ولكنه واصل ترديده ، حتى وصل إلى (اكرم) ، وانحنى يهزّه ، قائلاً :

- (اكرم) .. استيقظ يا رجل .. استيقظ بالله عليك .. الوقت يمضى فى سرعة ، والخطر يحيط بنا من كل جانب ..

ولثوان ، خُيّل إليه أن محاولته غير مجدية ، وان (اكرم) غارق فى غيبوبة بالغة العمق ، يستحيل انتزاعه منها ، إلا ان جفنى هذا الأخير لم يلبثا ان انفرجا فى بطء ، وتطلّعت عيناه إلى (نور) فى تهالك ، وهو يتمتم فى صعوبة :

- (نور) .. اين نحن ؟! .. ماذا حدث ؟!

حاول (نور) ان يعاونه على النهوض ، وهو يقول :

- لقد فقدنا وعينا جميعًا ، ومخزون الاكسچين ينفد بسرعة .. لا بد ان تنهض ؛ لنتعاون على العودة إلى المكوك .

حاول (اكرم) ان ينهض ، إلا ان ساقيه تخاذلتا ، وتهالكتا ، فغمغم فى إجهاد شديد :

- لا استطيع .. لا يمكننى هذا يا (نور) .

صاح به (نور) :

- حاول يا رجل .. حاول .. ابذل قصارى جهدك .. إنها مسالة حياة او موت .. حاول .

دفع (اكرم) قدميه فى الأرض ، وساعدته الجانبية المنخفضة على النهوض ، والوقوف على قدميه ، فهتف (نور) :

- عظيم .. هيا .. تعاون معى على إنعاش الشاب والفتاة ، او حملهما لو اقتضى الأمر ؛ فلم يعد امامنا سوى سبع وعشرين دقيقة ، قبل نفاد مخزون الأكسچين ، ولست ادرى كم تبقّى لهذين المسكينين .

ولكنه لم يكد يتركه ، حتى تخاذل مرة اخرى ، وتهاوى ارضًا ، وهو يغمغم :

- لا استطيع .

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وهتف به فى حدة :

- انهض يا رجل .. قلت لك : إنها مسالة حياة او موت .. لم اكن اتصوّر انك متخاذل وضعيف إلى هذا الحد .

هبّ (اكرم) جالسًا ، وهو يقول فى عصبية :

- متخاذل وضعيف ؟! .. انا ؟! .. انا متخاذل وضعيف ؟!

ثم نهض واقفًا فى نشاط مباغت ، ومستطردًا فى حدة :

- سنرى من منا المتخاذل الضعيف يا سيِّد (نور) .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، امام هذه الصحوة المفاجئة ، خاصة وقد تحرّك (اكرم) فى نشاط ، نحو الشاب والفتاة ، وانحنى يفحصهما وهو يسأل فى صرامة :

- كم تبقّى امامنا من وقت ؟

اجابه (نور) :

- خمس وعشرون دقيقة فقط ، والوصول إلى المكوك قد يستغرق هذا الوقت تقريبًا .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يسأل فى توتر :

- الا يمكننا الوصول إلى هناك خلال اثنتى عشرة دقيقة فحسب ؟

هزّ (نور) راسه نفيًا ، واجاب :

- هذا مستحيل عمليًا .

اعتدل (اكرم) ، وزفر فى توتر اكثر ، وهو يشير إلى الشاب والفتاة ، قائلاً :

– إذن فلا أمل لهما فى النجاة ، فهذا كل ما تبقى لديهما من وقت ، قبل أن ينفد مخزون الأكسچين من اسطوانتيهما تمامًا .

واتسعت عينا (نور) فى ارتياع ..

فهذا القول كان أشبه بحكم إعدام ، صدر ضد الشاب والفتاة ..

حكم مشمول بالنفاذ ..

بعد اثنتى عشرة دقيقة ..

فقط ..

* * *

« لن يمكننى الانتظار أكثر من هذا .. »

نطق (غسان) العبارة فى حزم شديد ، وهو يرتدى زيه الفضائى ، إلى جوار حجرة معادلة الضغط ، فقلب (سليم) كفيه فى حيرة ، وتمتم :

– ولكن ما الذى يمكنك أن تفعله بالضبط ؟! .. إنك تجهل أين هما ، ولم يعد أمامهما سوى عشرين دقيقة أو ما يزيد قليلاً ، فكيف تتوقع العثور عليهما ؟

هزَّ (غسان) رأسه فى عناد ، وهو يقول :

– لست أدرى ، ولكننى لن أقف هنا معقود الساعدين ، وأنا أعلم أنهما ربما يواجهان الموت فى مكان ما فى القاعدة .

سأله (سليم) فى توتر :

– هل حاولت الاتصال بهما لاسلكيًا ؟

أومأ (غسان) برأسه إيجابيًا ، وقال :

– حاولت أكثر من مرة ، ولكننى لم أتلقَ أية ردود منهما .

امتقع وجه (سليم) ، وهو يغمغم :

– ربما .. أخشى أن ...

قاطعه (غسان) فى صرامة :

– لا تتخذ أية قرارات مسبقة .. واصل محاولة الاتصال بهما ، حتى أعود إليك .

قالها ، وارتدى خوذته ، ثم حمل اسطوانتى اكسچين إضافيتين ، ودلف إلى حجرة معادلة الضغط ، مستطردًا :

– ادع الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنى فى العثور عليهما .

وانعقد حاجباه ، وهو يضغط زر إغلاقها ، مضيفًا فى حزم :

– على قيد الحياة .

سرت فى جسد (سليم) قشعريرة باردة ، مع عبارة (غسان) الأخيرة ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، وهو يراقب المصباح الأخضر ، الذى أشار إلى

معادلة الضغط داخل الحجرة ، وخروج (غسان) منها إلى سطح القمر ، ثم هزَّ رأسه ، متمتمًا :

- وفَّقك الله يا صديقى .. صدقنى .. انا احسدك على شجاعتك .

ثم اتجه فى خطوات سريعة إلى حجرة الاتصالات ، وجلس امام جهاز اللاسلكى ، وضغط زر موجة الاتصالات العامة ، وهو يقول :

- من مكوك الفضاء إلى القائد (نور) .. اجب .. اين انت ؟ .. حدِّد موقعك بالضبط .. اكرِّر .. من مكوك الفضاء إلى الـ ...

قبل ان يتمّ عبارته ، انبعث صوت متقطِّع من جهاز اللاسلكى ، معلنًا ورود رسالة عاجلة وهامة من الأرض ، فانعقد حاجبا (سليم) ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- من المكوك (القاهرة - ٢٠٠٠) إلى الأرض .. مستعدون لتلقِّى رسالتكم .

اتاه صوت يقول :

- من الأرض إلى (القاهرة - ٢٠٠٠) .. الرسالة خاصة بالمقدَّم (نور) شخصيًا .. نكرِّر .. الرسالة للمقدَّم (نور) شخصيًا .

ازدرد (سليم) لعابه ، وهو يقول :

- المقدَّم (نور) فى مهمة خارج المكوك .. يمكننى تلقِّى الرسالة ، و ..

قاطعه صاحب الصوت فى حزم :

- مستحيل ! .. الرسالة للمقدَّم (نور) شخصيًا .. رسالة عاجلة وبالغة الأهمية .. نرجو اتصاله بالقاعدة الأرضية فور عودته .. نكرِّر .. الرسالة عاجلة وبالغة الأهمية .

غمغم (سليم) :

- سابذل قصارى جهدى لإبلاغه .

وانهى الاتصال ، وهو يستطرد فى توتر :

- لو انه عاد إلى هنا حيًا .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى سمع صوتًا من خلفه ، يقول :

- لا تامل كثيرًا فى هذا .

ارتفع حاجبا (سليم) فى دهشة ، واستدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهو يهتف :

- انت ؟! ..

ومع اخر حروف الكلمة ، انطلق شعاع من الليزر ، من فوهة مسدس مصوَّب إليه ، واخترق منتصف جبهته تمامًا ..

وجحظت عينا (سليم) فى شدة ، وحملتا نظرة

ومع آخر حروف الكلمة ، انطلق شعاع من الليزر ، من فوهة مسدس مصوَّب اليه ، واخترق منتصف جبهته تمامًا ..

تجمع ما بين الذعر والذهول والألم ، وجسده يرتد إلى الخلف فى عنف ، ويرتطم باجهزة الاتصال ، والدماء تتفجَّر من ثقب جبهته ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وفى برود ، تمتم ذلك الصوت :

– لا يمكن السماح لذلك المصرى بالفوز .

ثم توجَّهت فوهة المسدس الليزرى نحو أجهزة الاتصال ، وانطلقت الأشعة تنسف الأجهزة واحدًا بعد الآخر ، وتقطع صلة المكوك بالأرض .. نهائيًا ..

* * *

لهث (اكرم) ، وهو يحمل (عماد) الفاقد الوعى إلى السطح ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً فى عصبية :

– اعلم أن الوزن ينخفض هنا إلى السدس ، ولكننى لا الهث بسبب هذا ، وإنما لم أستعد نشاطى كله بعد .

قفز (نور) إلى السطح ، حاملاً (نادية) ، وهو يقول :

– فليكن .. هذا لا يقلقنى فعليًا .. الهث كما يحلو لك ، ولكن حاول أن تحمل الشاب جيدًا ، فمن الواضح أن غيبوبته مع الفتاة عميقة للغاية ، والطريقة التى

تحمله بها تعرّض خونته لخطر الارتطام بأى جسم صلب ، وأخشى أن تصاب بشرخ فيفقد الزى الفضائى الضغط والهواء ، ويلقى مصرعه على الفور .

عقد (أكرم) حاجبيه ، قائلاً :

- حسنًا .. حسنًا .. كان ينبغى أن تنبهنى منذ البداية .

ثم استطرد فى شىء من الحدة :

- ولكن أخبرنى بالله عليك : كيف تتوقع إنقاذ حياتهما ، ومخزونهما من الأكسجين لا يكفى حتى للوصول إلى القاعدة .

ضغط (نور) زر الاتصالات ، وهو يجيب :

- لدى فكرة معقولة لهذا ، فسأجرى اتصالاً بالقاعدة ، وأطلب من أحد الرجال هناك أن يلتقى بنا فى منتصف الطريق ، حاملاً أربع أسطوانات أكسجين إضافية ، ولو أننا تحركنا بسرعة معقولة ، فسنلتقى به بعد عشر دقائق تقريبًا ، وسيمكننا استبدال أسطوانتى الشاب والفتاة فى الوقت المناسب .

ارتفع حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- فكرة عبقرية بحق يا (نور) .. فيم انتظارك

يا رجل ؟ .. هيا .. لقد أصبحنا على السطح الآن ، ويمكنهم التقاط رسالتك فى المكوك .. هيا .

قال (نور) عبر جهاز الاتصال :

- من القائد (نور) إلى المكوك .. نحن بحاجة إلى نجدة عاجلة .. حوّل .

وانتظر بضع ثوان ، دون أن يتلقّى جوابًا ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وكرّر النداء مرة .. وثانية ، وثالثة ..

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

- ماذا أصابهم هناك ؟! .. لماذا لا يجيبون ؟! .. لماذا لا يلبى أحد نداءنا ؟!

قال (نور) فى توتر شديد :

- لست أدرى .. لا يوجد لدى دليل واحد على أن أجهزة الاتصال هناك قد تلقّت النداء .. إننى لم أسمع حتى صفير الكمبيوتر .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) على الفور :

- يعنى أن أجهزة الاتصال مصابة بعطل ما ، يمنعها من استقبال أية رسائل .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

– رباه ! .. اخشى أن يكون ذلك الوغد الذى هاجمنا ، هو الذى اتلفها .

اجابه (نور) فى انفعال :

– ليس هذا هو المهم الآن .. المهم ان فرصتنا الوحيدة فى النجاة ، وفى إنقاذ الشاب والفتاة ضاعت ، ولم يعد لدينا من الوقت ما يكفى للوصول إلى المكوك .

ثم انعقد حاجباه اكثر ، وهو يستدرك :

– إلا إذا ..

ساله (اكرم) فى لهفة :

– إلا إذا ماذا ؟!

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل ان يجيب فى حزم :

– إلا إذا اتجهنا إليه قفزًا .

ردّدَ (اكرم) فى دهشة :

– قفزًا ؟!

أوما (نور) براسه إيجابًا ، وقال :

– مع انخفاض الجاذبية على القمر ، يمكن للمرء ان يقطع عدة امتار مع كل قفزة ، حتى وهو يحمل ثقلاً يساوى وزنه ، ولو اننا اتجهنا إلى المكوك قفزًا ، فربما امكننا اختصار وقت وصولنا إليه .

حان دور حاجبى (اكرم) لينعقدا فى شدة ، وهو يقول :

– أتظن هذا يفلح ؟!

أجابه (نور) :

– لقد لجأنا إلى هذا الأسلوب ذات مرة على القمر ، انا و (رمزى)(*) ، وحققنا به نجاحًا ، اتعشّم أن يتكرر هذه المرة .

ازداد انعقاد حاجبى (اكرم) ، وهو يقول :

– فيم انتظارنا إذن ؟

كانت عبارته إيذانًا ببدء لعبة القفز ، فراح كل منهما يثب وثبات متتالية طويلة متتالية ، فى محاولة لكسب الوقت ، وبلوغ المكوك فى الوقت المناسب ، قبل نفاد مخزون الأكسجين ..

ولكن تلك القفزات ، وما تستلزمه من جهد ، كانت تستنزف المزيد والمزيد من الأكسجين ، بالاضافة إلى التعب والكد ، حتى أن (اكرم) توقّف عن القفز بعد فترة ، وهو يهتف :

– لست اظننا ننجح فى هذا يا (نور) .. إننى لم اعد احتمل .

صاح به (نور) فى صرامة :

– قادمة يا رجل .. قاوم .. حياتنا وحياة الشابين تعتمد على مقاومتنا وإصرارنا .

(*) راجع قصة (الإمبراطور) .. المغامرة رقم (٨٦) .

هزَّ (أكرم) رأسه ، وهو يلهث فى شدة ، وقال :

– لقد بذلت قصارى جهدى ، واخشى اننى لم اعد احتمل .

واستدار يلقى نظرة على اسطوانة الاكسجين ، التى يحملها (عماد) على ظهره ، وهو يستطرد :

– ثم إننا لم نلمح المكوك بعد ، واخشى ان الوقت المتبقى لن يسمح لهذين المسكينين بـ ..

بتر عبارته بغتة ، وه يحدِّق فى مؤشِّر صغير ، فى ركن اسطوانة الاكسجين ، ويغمغم :

– رباه ! .. هذا مستحيل !

ساله (نور) فى توتر :

– ماذا حدث ؟!

اشار (أكرم) إلى المؤشِّر ، وهو يقول فى انفعال :

– إنه يشير إلى وجود اكسجين يكفى لاثنتى عشرة دقيقة كاملة .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

– اثنتى عشرة دقيقة ؟! .. ولكن هذا مستحيل ! .. إنه نفس المخزون الذى رصدناه ، عندما كنا هناك فى القاع .

التقى حاجبا (أكرم) وقال فى توتر :

– هل تدرك ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

القى (نور) نظرة على مؤشر الاكسجين فى اسطوانة الفتاة ، وقال بدهشة اكبر ، عندما وجده ثابتًا ايضًا :

– بالطبع .. إنه يعنى ان كليهما لم يستهلك ذرة واحدة من الاكسجين ، منذ كنا فى قاع القاعدة ، ولا معنى لهذا إلا إذا ..

قاطعه (أكرم) ، مكملاً :

– إلا إذا كانا قد لقيا مصرعهما .. ومنذ البداية .

واتسعت عينا (نور) اكثر مع المفاجاة ..

وبسرعة ، جولّت عيناه بين وجهى الشاب والفتاة قبل ان يغمغم :

– ولكن كيف ؟! .. كيف ؟ ! .. كل المؤشرات الحيوية فى زيهما الفضائى تشير إلى انهما على قيد الحياة .. كيف ؟!

اجابه (أكرم) فى عصبية :

– لا يمكن ان يظلاً على قيد الحياة بدون اكسجين .. انت تعلم ان هذا مستـ ..

وقبل ان يتمّ عبارته ، تاوّهت الفتاة ، وغمغمت :

– اه .. اين انا ؟! .. ماذا حدث ؟!

واتسعت عينا (نور) و (أكرم) فى دهشة بالغة ، وتبادلا نظرة متوترة ، فى حين نهضت الفتاة جالسة ، وتطلّعت إليهما فى حيرة ، مستطردة :

- هل فقدنا الوعى ؟!

ولم يجب (نور) أو (اكرم) بحرف واحد ..

فقد بدا لهما ما يحدث محيرًا وعجيبًا .. عجيبًا للغاية ..

* * *

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه فى توتر ، وهو يراجع مع فريق العلماء الصور الجديدة ، التى تم التقاطها لمنطقة الدوَّامة الفضائية ، واشار إلى إحدى الصور ، قائلاً :

- من الواضح انها تتسع بسرعة كبيرة ، وقوة جذبها لكل ما يحيط بها تتزايد باطراد .. ما الذى تتوقعون ان تبلغه ؟!

اجابه احد العلماء بصوت مرتجف :

- اقصى حد ممكن .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يسال :

- وكم من الوقت ستستغرقه ، حتى تصل إلى حد خطير بالنسبة لنا ؟

تبادل العلماء نظرة متوترة ، قبل ان يزدرد احدهم لعابه ، ويجيب :

- فى تقديرنا ان خطورتها ستبدا بعد يومين تقريبًا .. او ثلاث واربعين ساعة ، لو شئت الدقة ،

فبعد هذه الفترة ، ومع محافظتها على سرعة الاتساع ، سيصبح بمقدورها جذب كل شىء على سطح القمر إلى مركزها ، وبعد ست ساعات اخرى ستجذب إليها القمر نفسه ، ثم .. ثم يحين دور الأرض .

جفَّ حلق الدكتور (ناظم) ، وهو يسال :

- متى ؟!

اجابه احدهم فى مرارة :

- بعد ستين ساعة من الآن .. اى اقل من ثلاثة ايام .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! .. بهذه السرعة ؟!

ثم تلفَّت حوله فى توتر شديد ، وكانما يبحث عما يتشبَّث به ، قبل ان يقول :

- الا توجد وسيلة لتفادى حدوث هذا ؟! .. الا يوجد سبيل لمنع حدوث هذه المأساة ؟!

قلبوا اكفَّهم فى حيرة ، وقال احدهم :

- لسنا ندرى ما إذا كانت هناك وسيلة ام لا .

صاح به الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- اى قول هذا يا رجل .. لو انكم لا تدرون ، فمن يدرى ؟! .. انتم صفوة علماء (مصر) .. ابحثوا عن حل ، قبل ان تلتهم تلك الدوَّامة اللعينة عالمنا كله .

أجابه عالم آخر فى أسف :

- ولكننا لا نمتلك معلومات كافية عنها .. لا ندرى كيف نشأت ، ولا ما الذى يحويه مركزها ، أو إلى أين تذهب كل تلك الأشياء ، التى تجتذبها إليه .. إنها بالنسبة لنا أشبه بثقب أسود(*) ، نشأ فجأة من العدم ، وراحت قوته تتزايد فى كل لحظة .

مال الدكتور (ناظم) نحوه ، يسأله :

- وكيف يمكن جمع ما يكفيكم من معلومات عنها ؟

أجابه الرجل :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، ونراقب تطوراتها طوال الوقت ، ولكننا نحتاج ، وبشدة ، إلى كل المعلومات التى يمكن جمعها ، من الجانب المظلم للقمر ، وإلى تسجيل كامل لكيفية تكوّنها ، من كرة المعلومات الخاصة بقاعدة القمر .

وسأله آخر :

(*) الثقب الأسود : فجوة غامضة ، توصّل إليها العلماء رياضيًا ، قبل رصدها فلكيًا ، وهى عبارة عن مناطق حالكة السواد ، تجذب إليها كل ما يحيط بها ، حتى الضوء ، ومن هنا جاء لونها الأسود ، وهناك عدة نظريات تتحدّث عنها ، وأكثرها قبولاً هو كونها نجوم منهارة ، انكمش حجمها ، وتضاعفت كثافتها وقوة جاذبيتها مئات المرات .

- ألم يتوصّل (نور) إليها بعد ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أدرى .. لقد أجرينا اتصالاً بالمكوك منذ قليل ، وعلمنا أنه يقوم بجولة خارجه ، ولقد طلبنا منه الاتصال بنا فور عودته .

مطّ عالم ثالث شفتيه ، وقال :

- أعتقد أنه من الضرورى أن يتلقّى تحذيرًا ، فبعد ثلاث وأربعين ساعة ، ستنجح تلك الدوّامة فى جذب المكوك كله إلى مركزها ، لو أنه بقى على سطح القمر .

التقى حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- لو لم يجمعوا المعلومات اللازمة ، لن يصبح هناك فارق جوهرى ، بين أن تجذبهم الدوّامة إليها من على سطح القمر ، أو سطح الأرض .

مع آخر عبارته ، اندفع أحد مساعديه إلى المكان ، قائلاً فى توتر :

- سيّدى .. لقد اعترضنا رسالة أخرى ، مرسلة من المكوك إلى الأرض ، باستخدام جهاز اتصال خاص ، وشفرة سرية جديدة ، واعتقد أنه يهمك جدًا معرفة فحواها .

التقط منه الدكتور (ناظم) الورقة التى يحملها ، وقرأ محتوياتها فى سرعة ، ثم اتسعت عيناه فى رعب شديد ..

لقد كان مضمون الرسالة هذه المرة مخيفًا ، رهيبًا ..

وإلى اقصى حد .

* * *

٦ - قلب الخطر ..

قرأ مدير مخابرات تلك الدولة الأجنبية الرسالة الشفرية ، التى أرسلها عميله على القمر ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو لم يفهمه مساعده ، الذى تنحنح قائلاً :

- لقد حطَّم أجهزة الاتصال فى المكوك ، بعد أن حصل على الكرة ..

هزَّ المدير رأسه فى صرامة ، قائلاً :

- هذا لا يكفى ..

ازدرد مساعده لعابه ، وقال فى حماس مصطنع :

- ولكنه يقول إن لديه خطة مدهشة .

إنه يخطِّط لسرقة المركبة الفضائية الصغيرة من المكوك ، والعودة بها إلى هنا ، و ..

انعقد حاجبا المدير اكثر ، وهو يقول :

- خطا .

بهت مساعده لقوله ، فتراجع فى حد ، فى حين مال المدير نحوه ، متابعًا فى صرامة :

- فراره بهذا الأسلوب الفج يكشف أمره وأمرنا على نحو سافر ، ويدفع الدول كلها مهاجمتنا ، قبل أن نفيد بما حصل عليه من معلومات ، أو ننجح بوساطته فى تطوير علومنا وتقنيتنا واسلحتنا .

ازدرد المساعد لعابه ثانية ، وقال فى حذر :
- ما الذى تقترحه إذن يا سيدى ؟
لَوَّح المدير بكفه ، وهو يقول فى حزم :
- لقد أدى الخطوة الأولى فى نجاح ، ودمّر أجهزة الاتصال فى المكوك ، وعزله مؤقتًا عن الأرض .. الخطوة التالية إذن هى منعه من مغادرة القمر .
ساله مساعده فى دهشة :
- وكيف هذا ؟
أجابه المدير فى صرامة :
- بنسف محركاته الرئيسية أيها الغبى .
ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة عارمة ، ثم غمغم :
- ينسف محركاته ؟!
أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
- نعم يا رجل .. ينسف المحركات الرئيسية للمكوك ، ثم يبدأ فى القضاء على أفراد الحملة ، واحدًا بعد الآخر ، وعندما يضمن سكوت الجميع بهذه الطريقة المضمونة ، يستقلّ مركبة الفضاء الصغيرة ، ويعود مع كرة المعلومات إلى الأرض .
حدّق مساعده فى وجهه بدهشة لحظات ، فساله فى صرامة :
- هل استوعبت الأمر ؟

انتفض المساعد ، وهو يهتف فى حماس :
- بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع ..
التقط المدير نفسًا عميقًا ، وهو يتراجع فى مقعده قائلاً :
- عظيم .. أرسل هذه التفاصيل لعميلنا على القمر ، وضع فى نهاية الرسالة أمرًا واضحًا محدودًا .
والتقى حاجباه مرة أخرى ، مضيفًا فى صرامة مخيفة :
- نفّذ .
وانتفض جسد المساعد ثانية ..
وبعنف ..

* * *

استعاد (عماد) وعيه ، وجلس يدير عينيه فى وجوه رفيقته ، و (نور) و (أكرم) ، بتلك النظرة الشاردة الحائرة ، وهو يغمغم :
- ماذا نفعل هنا ؟!
تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، قبل أن يقول الأخير فى عصبية :
- قل لى يا سيِّد (عماد) : هل تتنفّس الأكسچين مثلنا ؟

حدّق (عماد) فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

- أتنفس ماذا ؟!

واندفعت (نادية) تقول فى حدة :

- لست أفهم ما الذى تعنيانه بالضبط ؟! .. إننا بشريان مثلكما ، ومن الطبيعى أن نتنفس الأكسچين كما تتنفسانه ، فلماذا يثير هذا الأمر دهشتكما ؟!

أشار (نور) إلى مؤشّر اسطوانة الأكسچين الخاصة بها ، قائلاً :

- لأنكما لا تستهلكان مخزون الأكسچين فعليًا .

ارتفع حاجباها فى دهشة عارمة ، وامتقع وجهها فى شدة ، وهى تهتف :

- ماذا ؟! .. أنت تمزح بالتأكيد !!

ولكن عينيها التقطتا بيانات المؤشّر ، فى قاعدة خوذتها الفضائية ، فاستطردت فى ارتياع :

- ولكن هذا مستحيل ! .. مستحيل !

أدار (عماد) عينيه فى وجوههم ثانية ، وتمتم حائرًا :

- ما هو المستحيل ؟! .. ماذا نفعل هنا ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، ثم قال فى حزم :

- فليكن .. الأمر يثير الدهشة والحيرة بالفعل ، ولكن ليس لدينا أدنى وقت لمناقشته أو محاولة

تفسيره .. سنواصل القفز الآن ، على أمل أن نبلغ المكوك فى الوقت المناسب ، وندرس الموقف هناك ، لو ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن (أكرم) فهم ما ينوى قوله ، ورنّده فى خفوت :

- لو وصلنا إليه أحياء .

أما (نادية) ، فسألت متوترة :

- ماذا تقصد بالقفز ؟!

أجابها فى حزم :

- أقصد أن نواصل طريقنا بأسلوب (الكنجارو)(*) .. هيا .. إننا نفقد فرصتنا ، فى كل لحظة تمضى .. هيا .

ومع شرح سريع للموقف ، أمسكت (نادية) يد رفيقها ، وراحا يقفزان على سطح القمر ، خلف (نور) و (أكرم) ، اللذين لاذا بالصمت التام ، ولم ينبس أحدهما ببنت شفة ، على الرغم من الحيرة الشديدة ، التى تملأ نفسيهما ، بشأن هذين اللذين

(*) الكنجارو : أو الكنغر : حيوان كيسى ، يستوطن (أستراليا) و (تسمانيا) ، طرفاه الأماميان قصيران ، والخلفيان طويلان قويان ، يساعدانه على القفز ، كما يساعده ذيله العضلى على الاتزان فى أثناء القفز ، وهو آكل عشب ، ويحمل طفله فى كيس عند بطنه .

لا يستهلكان ما لديهما من أكسچين قط ..

وأخيرًا ، لاح المكوك من بعيد ..

وفى حماس ، هتف (أكرم) :

- ها هو ذا .. وصلنا يا (نور) .. وصلنا .

ومع نهاية هتافه ، انطلق ازيز قوى داخل خوذته ..

وغمغم (نور) فى ارتياع :

- رباه !! .. ليس الآن .

واحتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وهو يحدِّق فى المكوك ، الذى بدا واضحًا ..

ولكن المسافة التى تفصلهم عنه ، كانت بالفعل أكثر مما ينبغى ..

فذلك الأزيز ، الذى انطلق فى خوذته وخوذة (نور) ، فى آن واحد تقريبًا ، كان يعنى أن مخزون الأكسچين لديهما قد نفد ..

أو كاد ..

وبكل ما يجيش فى صدره من انفعالات ، هتف (نور) :

- اقفز يا (أكرم) .. اقفز نحو المكوك .. ربما أمكننا أن ..

ولكن الكلمات اختنقت فى حلقه ..

اختنقت مع أنفاسه اللاهثة ، والانخفاض الشديد فى الأكسچين ..

وبكل قوته وإرادته ، حاول (نور) أن يدفع جسده إلى قفزة إضافية ، يدرك مقدمًا أنها لن توصله أبدًا إلى المكوك .

ولكن جسده أبى أن يستجيب ..

وعبر جهاز الاتصال فى خوذته ، سمع (أكرم) يهتف بصوت مختنق :

- اللعنة ؟

وراه يهوى أرضًا ، فهتف بدوره :

- لا يا (أكرم) .. لا تستسلم ..

ولكن صدره المختنق بنقص الأكسچين ، لم يستطع حتى إكمال الهتاف ، الذى انحبس فى رئتيه ، والمشهد كله يصطبغ بلون أسود أمام عينيه ، وصوت حائر يتسلل إلى أذنيه ، متمتمًا :

- ماذا أصابهما ؟!

وكان هذا آخر صوت سمعه (نور) ، قبل أن يسقط أرضًا بدوره ..

وينفد مخزون الأكسچين لديه تمامًا ..

* * *

شعر (خالد) بتوتر حقيقى ، وهو يتطلع إلى ساعته ، وانطلقت من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، وهو يقول للروسى (نازسكى) :

– تُرى ماذا حدث بالضبط ؟! .. المفترض ، طبقًا لحساباتى ، ان مخزون الهواء لدى القائد و (اكرم) قد انتهى الآن ، ولم نتلق منهما اية إشارات ، او يصلا إلى هنا ، وحتى (غسان) ، الذى خرج للبحث عنهما لم يرسل اية إشارة تفيد ما حدث ، او حتى ما توصل إليه .

مطّ (نازسكى) شفتيه فى امتعاض ، قائلاً :

– انتم العرب لا تبالون كثيرًا بالنظم والقواعد .

رمقه (خالد) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

– نحن ماذا ؟! .. من قاد هذا المكوك إلى هنا إذن يا رجل ؟! .. من وضع خطة الحملة ونظامها ؟! ..

لوّح (نازسكى) بذراعه ، قائلاً فى غلظة :

– لا تحدثنى عن النظام والخطط ايها العربى .. إنكم لم تعرفوا التطوّر والقوة إلا مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، اما فى القرن السابق فقد كانت القوة كل القوة لنا نحن والأمريكيين ، ولم يكن لكم شان على خريطتها .

ابتسم (خالد) ابتسامة ساخرة مستفزة ، وهو يقول :

– حقًا ؟! .. كم اشعر بالأسى من اجلكم ، فالاحمق وحده من يفقد القوة ، بعد ان سيطر على مفاتيحها .

انعقد حاجبا (نازسكى) فى غضب ، وهو يقول :

– اسمع ايها العربى .. إننى ..

قاطعه (خالد) فى حزم :

– اسمع انت ايها الروسى .. إننا هنا فى حملة ذات طابع خاص ، ولا يصح ان نترك هذا إلى صراعات وخلافات شخصية ، ولا إلى حديث سخيف حول القوة ومقاليدها ، ومن امكنه الحصول عليها فى الماضى ، او يسعى للفوز بها فى المستقبل .. اضف إلى هذا اننا نواجه مشكلة خاصة ، فقد اختفى قائدنا ورفيقه ، ولسنا ندرى شيئًا عن موقفهما ، ولا احد هنا يبالى بهذا ، ولست ادرى حتى اين ذهب الجميع .. الا يكفى كل هذا لنوقف ذلك الجدل السخيف ؟!

احتقن وجه (نازسكى) فى شدة ، ولوّح بسبّابته فى وجه (خالد) ، متمتمًا :

– ايها الـ .. الـ ..

ثم دار على عقبيه ، واندفع يغادر المكان فى حدة ، فشيّعه (خالد) بنظرة باردة ، مغمغمًا :

– اذهب إلى الجحيم .

قالها ، والقى نظرة اخرى على ساعته ، قبل ان يكرّر متوترًا :

– تُرى ماذا حدث ؟! .. ماذا حدث ؟! .. لماذا لم نتلق منهم أية اتصالات ؟!

وهزّ رأسه فى توتر ، ثم اتجه فى خطوات واسعة إلى حجرة الاتصالات ، مغمغمًا فى حنق :

– وأين اختفى (سليم) ؟! .. لماذا لا أجد شخصًا واحدًا يولى الأمر اهتمامًا مناسبًا ؟!

وصل إلى حجرة الاتصالات ، وهو ينهى عبارته ، فدفع بابها ، ودلف إليها ، و ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يطلق شهقة قوية ، ثم يهتف :

– رباه ! .. (سليم) .

وانحنى يفحص زميله الصريع فى توتر بالغ ، وألقى نظرة مذعورة على آلات الاتصال المحطّمة فى المكان ، ثم اندفع يعدو خارجه ، وهو يصرخ :

– خيانة .. خيانة على المكوك ..

اندفعت (ناتاشا) من حجرتها ، هاتفة :

– ماذا حدث ؟! .. لماذا تصرخ ؟!

وظهر (واتسن) و (كيندرمان) ، يعدوان عبر الممر ، والأول يقول فى توتر :

– ماذا تقول أيها العربى ؟! .. لماذا تصرخ هكذا ؟!

ثم أطلّ (أوتو) من حجرته ، وبدا وكأنما استيقظ من نومه على الفور ، وهو يغمغم فى انفعال :

– ماذا هناك ؟ .. هل ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، دوّى الانفجار ..

انفجار محدود ، فى قلب المكوك ، ارتجّ له جسمه كله فى عنف ، ففقد الجميع توازنهم ، وسقطوا أرضًا ، وصاحت (ناتاشا) مذعورة :

– ماذا يحدث هنا ؟! .. أهى كارثة جديدة ؟!

هبّ (خالد) واقفًا ، وهو يقول فى عصبية :

– بل هو أمر داخلى .. هذا الانفجار حدث فى غرفة المحركات ..

قالها ، وانطلق يعدو نحو حجرة المحركات ، فى قاع المكوك ، ولحق به الجميع فى توتر بالغ ، وما إن بلغوا المكان ، حتى اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وشهقت (ناتاشا) هاتفة :

– يا إلهى ! .. مستحيل !

فأمام عيونهم جميعًا ، كانت حجرة المحركات تشتعل بالنيران ، وقد تحطّمت كل آلات الدفع داخلها ..

تحطّمت تمامًا ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، بدأت أجهزة التأمين عملها ، وانطلق فى المكان مسحوق أبيض مضاد للنيران ، وراح يغمر كل شىء بطبقة بيضاء رقيقة ..

وفى لحظات معدودة ، انطفات نيران غرفة المحركات ..

ولكن النيران المشتعلة فى الصدور لم تنطفئ ..

فما حدث كان يعنى أن الجميع قد أصبحوا سجناء على القمر ..

سجناء ستحدد مصيرهم دوامة ..

دوامة فضائية غامضة ..

* * *

لم يبد أدنى انفعال على وجهى (نادية) و (عماد) ، عندما سقط (نور) و (اكرم) فاقدى الوعى ، مع نقاد مخزون الاكسجين فى اسطوانتيهما ..

لقد تبادل الاثنان نظرة صامتة ، خالية من المشاعر ، ثم ردد (عماد) كالذاهل :

- لقد سقطا .

تمتمت (نادية) :

- إنه مصير طبيعى بالنسبة لهما .. لقد فقدا مصدرًا من مصادر حياتهما .

قالتها ، وواصلت طريقها نحو المكوك فى هدوء ، فتبعها (عماد) بحركة الية ، كطفل حائر مرتبك ، وهو يتمتم :

- لقد سقطا .

ولكنهما لم يقطعا مترًا واحدًا ، حتى برز امامهما فجاة رجل فى زى فضائى ، من خلف صخرة كبيرة ، وحدق فى وجهيهما ذاهلاً ، وهو يقول :

- رباه ! .. من انتما ؟! .. اين (نور) و (اكرم) ؟

تراجعت (نادية) بحركة حادة ، فى حين استدار (عماد) يشير إلى (نور) و (اكرم) ، وهو يكرر فى بلادة :

- لقد سقطا .

ادار (غسان) عينيه ، إلى حيث يرقد (نور) و (اكرم) ، وهتف :

- رباه ! .. هل وصلت بعد فوات الأوان ؟!

ووثب إليهما ، وانحنى يستبدل اسطوانتيهما الفارغين بالاسطوانتين الاحتياطيتين اللتين يحملهما ، وهو يقول فى انفعال :

- لا .. ليس (نور) و (اكرم) .. ساعدهما يا إلهى ! .. ساعدهما ..

انتهى من استبدال الاسطوانتين ، و (نادية) و (عماد) يراقبانه فى صمت ، دون أن يتدخل أحدهما لمعاونته ، فاخذ هو يهز (نور) فى قوة ، هاتفًا :

- استيقظ ايها القائد .. التقط انفاسك .. هيا .. لا تستسلم للموت .. قاومه .. هيا بالله عليك .

امتلأت خوذة (نور) بالأكسجين ، الذى تدفق عبر أنفه إلى رئتيه ، فسعل مرتين ، ثم فتح عينيه فى صعوبة ، متمتمًا :

– حمدًا لله .. حمدًا لله ..

كرّ (غسّان) خلفه ، وهو ينتقل بسرعة إلى حيث يرقد (أكرم) :

– حمدًا لله أيها القائد .. حمدًا لله .

ولكنه لم يكد ينحنى على (أكرم) ، حتى راه يتطلّع إليه بعينين مجهدتين ، مغمغمًا :

– كم هو جميل أن تستنشق الهواء مرة أخرى .

ترقرقت عينا (غسّان) بالدمع ، من فرط الانفعال ، وهو يتمتم :

– حمدًا لله على سلامتكما .

وراح يعاونهما على النهوض ، والشاب والفتاة يراقبانه فى صمت ، قبل أن يتمتم الأول ، بنفس النبرة نصف الذاهلة :

– لقد نجيا .

غمغمت الفتاة فى بطء :

– نعم .. لقد نجيا .

قالتها ، ويدها تعبث بمؤشّر الأكسجين فى أسطوانته ، وتعالجه على نحو عجيب ..

عجيب بحق ..

* * *

قالتها ، ويدها تعبث بمؤشر الأكسجين فى أسطوانته ، وتعالجه على نحو عجيب ..

انطلقت من اعماق صدر القائد الأعلى زفرة حارة ، وهو يراجع التقرير الأخير للموقف ، ثم رفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

– الأمور تتطوّر بسرعة ، وعلى نحو مثير للقلق والاشمئزاز يا دكتور (ناظم) .. الاتصالات انقطعت تمامًا عن المكوك ، وتلك الرسالة تطالب جاسوسًا مجهولاً هناك بتدمير محركاته الرئيسية ، والتخلّص من كل افراد الحملة ، وفى الوقت ذاته يقف علماؤنا عاجزين عن التعامل مع تلك الدوّامة الرهيبة ، التى تتسع لابتلاع كوكبنا كله ، بسبب نقص ما لديهم من معلومات ، وعدم قدرتنا على الاتصال بالمكوك .. ألا يوجد مخرج من هذا المازق بالله عليك ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) فى اسف ، وهو يقول :

– ليس بعد ايها القائد .. إننا نقلب الأمر على كل الوجوه ، ولكننا لم نعثر على وسيلة لمعالجة الموقف بعد .. لقد فكرنا فى إرسال تحذير عاجل إلى المكوك ، أو حملة اخرى ، ولكن هذا أو ذاك يحتاجان إلى ما يفوق ما لدينا من وقت .. وفى الوقت ذاته ، طلبنا من كل مرصد ، فى العالم اجمع ، ان يسعى لجمع كل ما يمكنه من معلومات عن تلك الدوّامة ، وما زلنا فى انتظار التقارير والنتائج .

ساله القائد الأعلى :

– ألا يمكن استخدام شعاع مباشر من الليزر ، لإرسال رسالة تحذيرية لـ (نور) ؟!(*)

هزّ الدكتور (ناظم) راسه اسفًا ، وهو يجيب :

– المشكلة ان الزاوية ، التى هبط عندها مكوك الفضاء ، تجعل وصول شعاع الليزر المباشر إليه امرًا مستحيلاً .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وغادر مكانه خلف مكتبه ، وراح يجوّل فى حجرته الواسعة ، ووجهه يحمل امارات تفكير عميق ، قبل ان يتوقّف ليسال الدكتور (ناظم) فى توتر :

– وماذا لو اطلقنا قمرًا صناعيًا بزاوية خاصة ، يمكنه منها إطلاق شعاع الليزر الصوتى المطلوب ؟

أجابه الدكتور (ناظم) بسرعة ، تشفّ عن توقّعه المسبّق للاقتراح :

– سيحتاج هذا إلى عشرين ساعة على الأقل ، ولا احد يدرى ما يكن حدوثه ، خلال هذه الساعات العشرين .

(*) يستخدم العلم الحديث شعاعًا من الليزر ، يتم تصويبه إلى مكان ما ؛ للتصنّت على كل ما يدور فيه من احاديث ، عن طريق ارتداده بالذبذبات الناشئة ، ويمكن استخدام الوسيلة نفسها لنقل ذبذبات محدودة إلى مكان ما ، يمكنه تلقيها كرسالة صوتية مسموعة .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- ولكنه سيصل قبل اثنين وعشرين ساعة من لحظة الخطر على الأقل .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

- بالضبط .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- ابدأ العمل إذن على بركة الله .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكن إطلاق قمر صناعى جديد يحتاج إلى موافقة السيد رئيس الجمهورية ، ورئيس مجلس التعاون الفضائى ، وإلى ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

- ابدأ العمل يا رجل ، واترك لى هذه التفاصيل .. دعنا لا نضع لحظةواحدة فيما لا يفيد .. يكفى اننا سنفقد عشرين ساعة كاملة فى إعداد القمر الصناعى .

وافقه الدكتور (ناظم) بإشارة من يده ، قائلاً :

- إننى أتساءل فى الواقع ، ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعات العشرين ؟

أجابه القائد الأعلى فى اقتضاب حازم :

- الكثير .

ثم أضاف فى سرعة :

- ولكننا سنعتمد خلالها على واحد من أفضل أسلحتنا على الإطلاق .

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) بنظرة حائرة متسائلة ، جعلته يضيف :

- (نور) .. المقدّم (نور) .

وكان هذا جوابًا كافيًا ..

* * *

أطلّ مزيج من الغضب والتوتر والقلق من عينى (نور) ، وهو يراجع ما أصاب المكوك ، فى حين بدت الدهشة على الباقين ، وهم يتطلعون إلى (عماد) و (نادية) ، قبل أن يتمتم (كيندرمان) :

- إذن فقد كان هناك أحياء على القمر .. يا إلهى ! .. كيف يمكن أن ينجو المرء من كارثة كهذه ؟

أجابه (أكرم) فى شىء من الصرامة :

- أعتقد اننا شرحنا لك هذا مرتين على الأقل .

هزّ (كيندرمان) رأسه فى بطء ، قائلاً :

- مازلت أشعر بالدهشة !

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

- الأجدى أن تشعر بالخوف أو الذعر يا هذا ، فلقد فقدنا أجهزة الاتصال ، والمحركات الرئيسية ،

ولم تعد لدينا وسيلة واحدة للاتصال بالأرض ، او العودة إليها .. اضف إلى هذا انه هناك خائن بيننا ، سرق كرة المعلومات ، وقتل (سليم) ، ومازال يسعى لتدميرنا تمامًا ، ومنعنا من العودة إلى الأرض .

ساله (واتسن) فى توتر ، وهو يتلفت حوله :

- ومن هذا الجاسوس ؟

اشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- إنه الشخص الذى انفصل عن رفيقه ، فى اثناء عملية البحث ، ليتعقّبنا ، ويسعى خلفنا ، حتى نبلغ الموقع السرى لكرة المعلومات ، ثم يطلق علينا موجة ترنّدية فائقة ، تفقدنا وعينا ، ويستولى على الكرة ، ويعود إلى رفيقه متظاهرًا بالبراءة .

انعقد حاجبا (ناتاشا) فى شدة ، وادار (خالد) عينيه إلى (واتسن) فى حركة حادة ، فى حين مطّ (كيندرمان) شفتيه ، وشدّ (اوتو) قامته فى اعتداد مبالغ ..

وفى شىء من الصرامة ، قال (خالد) :

- أعتقد أن هذا ينطبق عليك يا سيّد (واتسن) .

هتف (واتسن) فى دهشة مستنكرة :

- انا ؟!

أجابه (خالد) :

- نعم .. انت .. مازلت اذكر انك اقترحت علىّ ان

ننفصل ، فور مغادرتنا المكوك ؛ ليبحث كل منا فى اتجاه ؛ توفيرًا للوقت .

اضطرب (واتسن) ، وهو يقول :

- ولكننى لم افعل شيئًا .. لقد فحصت المنطقة التى ذهبت إليها ، ثم التقيت بك فى المكان المتفق عليه ، وعدنا معًا إلى هنا ..

ثم استطرد فى حدة :

- وبالمناسبة !.. لماذا لا تكون انت الخائن ؟!.. الم تكن وحدك طوال الوقت ؟!

قال (خالد) فى عصبية :

- ولكننى لست صاحب اقتراح الانفصال .

لوّح (واتسن) بسبّابته فى وجهه ، هاتفًا :

- لو اننى لم اقترحه ، لوجدت وسيلة اخرى لتنفيذ ماربك .

صاح به (خالد) :

- ليس من حقك ان تتهمنى هكذا .

صاح به (واتسن) بدوره :

- لماذا ؟!.. المجرّد انك عربى ؟!

تدخّل (نور) لحسم ذلك الشجار ، قائلاً فى صرامة :

- مهلاً .. لن نضيع الوقت فى جدال سخيف

كهذا .. لقد انفصلتما فور مغادرتكما المكوك ، وهذا يعنى ان كلاً منكما مشتبه فيه .

هتف (واتسن) غاضبًا :

- ولماذا نحن بالذات ؟!.. (اوتو) ايضًا كان وحده خارج المكوك .. لقد رايته يسير منفردًا ، فى اثناء عودتنا إلى هنا .

اتسعت عينا (اوتو) فى شدة ، وقال :

- انا ؟!.. ولكننى لم اذهب بعيدًا .. كنت اتفقّد المنطقة حول المكوك فحسب .

قال (خالد) فى عصبية :

- ومن ادرانا انك لم تذهب بعيدًا ؟!

ارتبك (اوتو) بضع لحظات ، قبل ان يقول :

- لدى شاهد .

ساله (اكرم) بسرعة :

- اى شاهد ؟!

ادار (اوتو) عينيه فيما حوله ، ثم اشار إلى (كيندرمان) ، قائلاً :

- الأمريكى .

انعقد حاجبا (كيندرمان) فى شدة ، و (اوتو) يستطرد فى انفعال :

- لقد رانى حول المكوك ، عندما كان هناك .. اليس كذلك ايها الأمريكى ؟ .. الم نلتق هناك ؟

مطّ (كيندرمان) شفتيه ، وغمغم :

- نعم .. التقينا عند عودتك .

هتف (اوتو) :

- الم اقل لكما ؟

تابع (كيندرمان) فى صرامة :

- ولكننى لست ادرى اين كنت ، ولا ما الذى فعلته قبل عودتك .

التفت إليه (اوتو) فى غضب ، صائحًا :

- هكذا ؟!.. انا ايضًا اجهل اين كنت ، قبل ان التقى بك ، ولا السبب الحقيقى لخروجك من المكوك .

ابتسم (اكرم) فى سخرية عصبية ، قائلاً :

- رائع .. هذا يعنى ان عدد المشتبه فيهم قد ارتفع إلى اربعة .

ثم التفت إلى (ناتاشا) ، مستطردًا :

- اخبرينى يا جميلتى .. هل انفصل عنك رفيقك ايضًا ؟

تطلّعت إليه لحظة فى صمت وضيق ، ثم لم تلبث ان اشاحت بوجهها ، مجيبة فى خفوت :

- ليس لفترة طويلة .

قال (نور) فى صرامة :

- اتعنين انه قد انفصل عنك بالفعل ؟!

ثم تلفّت حوله ، مستطردًا :

- وبالمناسبة : أين هو ؟!.. أين (فيدور نازسكى) ؟!.. إننى لم أره منذ عودتنا إلى المكوك !

تلفّت الجميع حولهم أيضًا ، ثم قال (خالد) متوترًا :

- وأنا لم أره منذ حدث الانفجار .. لقد اختفى بعدها تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما قفزت فكرة مخيفة إلى رأسه ، وأدار الجميع عيونهم ، ونظر بعضهم إلى البعض ، قبل أن يهتف (أكرم) :

- يبدو أننا عرفنا من هو الخائن يا رفاق .

ثم استلّ مسدسه ، مستطردًا :

- هيا .. دعونا نبحث عنه .

انطلق الجميع يبحثون عن (نازسكى) ، وأشار (نور) إلى حجرته ، قائلاً :

- القاعدة الأولى فى البحث ، هى ألا نتجاوز الأماكن الطبيعية المحتملة .

اتجه (أكرم) إلى حجرة (نازسكى) ، وهو يقول ساخرًا :

- هل تعتقد أنه من المحتمل أن ذلك البغل الروسى قد استغرق فى نوم عميق ، حتى أنه لم يشعر بكل ما حدث هنا ؟

قالها ، ودفع باب الحجرة بقدمه ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

- آه .. إنه لم يشعر بالفعل .

فأمام عينيه مباشرة ، وفوق مقعد كبير فى مواجهة باب الحجرة ، سقط (نازسكى) جاحظ العينين ، وفى منتصف جبهته ثقب كبير ، تجمّدت فوقه الدماء ..

لقد ضرب الجاسوس ضربته التالية ..

وبنجاح .

* * *

٧ - القاتل ..

خيّم وجوم شديد على حجرة الاجتماعات ، داخل مكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، وساد صمت ثقيل والكل يتبادل نظرات مضطربة متوترة ، قبل أن تتركّز العيون كلها على وجه (نور) الذى بدا متجهمًا حانقًا ، يحمل امارات غضب وتفكير عميقين ، وهو يدرس ما حدث ، ويراجع كل الأمور ، فى محاولة لكشف جزء من ذلك الغموض ، الذى أصبح يحيط بكل ما حوله ..

وعندما طال الصمت ، التقط (اكرم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى شيء من العصبية :

- حسن .. هل سنمضى يومنا كله هكذا ؟!

رفع (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

- كلا بالطبع ، ولكننا أمام أمر معقّد بالفعل ؛ فمما لاشك فيه اننا نواجه مشكلة بالغة الخطورة ، إذ اصبحنا سجناء على القمر ، وبيننا جاسوس خائن ، يسعى لتصفيتنا واحدًا بعد الآخر، حتى يمكنه الاستئثار بكرة المعلومات ، وكل ما تحويه من أسرار وتفاصيل .. والمشكلة ان هذا الشخص يؤدى عملاً حقيرًا ، تم إسناده إليه ، دون ان يتوقّف لحظة واحدة للتفكير فى عواقبه ، وفيما يمكن ان يؤدى إليه عمله

هذا .. ولست أدرى كيف لم يفهم اننا هنا فى محاولة لتفادى ما يمكن ان ينشأ من أعراض جانبية ، بعد كارثة الشمس المحدودة ؟!.. إن ما فعله يمكن أن يخفى حقيقة كارثة جديدة ، قد تكون لها ابعاد أكثر خطورة .

ساله (اوتو) فى قلق :

- كارثة مثل ماذا ؟

اجاب (نور) فى سرعة :

- قنبلة ثانية مثلاً ، تكون فى طريقها الآن إلى الأرض ، دون أن ندرك او يدرك علماؤنا هذا .

هزّ (واتسن) راسه ، وهو يقول فى عصبية :

- قل لى أيها المصرى : هل تحاول استثارة نخوة الجاسوس ؟!.. هل تتصوّر انك بحديثك هذا ، ستشعل فى اعماقه نداء الواجب ، فيهبّ للاعتراف ، ويعيد إليك تلك الكرة السخيفة ؟!.. لو انك تتصوّر هذا فانت واهم بحق .. إنه فعل ما فعل ثقة منه فى انه يعمل من أجل وطنه .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يتطلّع إليه فى شك ، فى حين اجابه (نور) فى حزم :

- بالطبع .. وانا لم اتوقّع منه تراجعًا او اعترافًا .. كل ما اردته هو ان اوضّح لكم الموقف فحسب .

ساله (كيندرمان) فى برود :
- وماذا بعد ان فعلت ؟
اجابه (نور) فى صرامة :
- ننتقل إلى مرحلة التنفيذ .
ثم اعتدل فى مقعده ، مستطردًا :
- الأمران اللذان يجب ان نثق بهما جيدًا ، هو ان ذلك الخائن يجلس بيننا الآن ، حول هذه المائدة ، وانه يخفى كرة المعلومات فى مكان ما داخل المكوك .
سالته (ناتاشا) :
- ولِمَ لا يكون قد اخفاها خارجه ؟!
هزَّ (نور) راسه نفيًا ، واجاب :
- لن يجازف بامر كهذا ، فهو لم يستولِ عليها ليبقيها هنا ، وإنما فعل ما فعل ليعود بها إلى موطنه ، ثم إن حجمها لا يستدعى الاحتفاظ بها فى مكان قد يعجز عن العودة إليه لسبب ما .
اوما (كيندرمان) براسه موافقًا ، وقال :
- هذا صحيح ، فليس من العسير إخفاء كرة فى حجم كرة التنس ، داخل مكوك ضخم كهذا ، و ...
قاطعه (اكرم) فجاة :
- وكيف عرفت هذا ؟!
التفت إليه (كيندرمان) فى حدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- كيف عرفت ماذا ؟!
اجابه فى صرامة :
- كيف عرفت انها فى حجم كرة التنس ؟!
امتقع وجه (كيندرمان) ، وحدقت العيون كلها فيه ، حاملة اتهامًا صريحًا ، وسالته (ناتاشا) فى صرامة :
- نعم ايها الأمريكى .. كيف عرفت هذا ؟
ارتبك (كيندرمان) واضطرب ، وهو يقول :
- إنها معلومة بسيطة .. نحن ايضًا لدينا كرات معلومات .
اجابه (نور) :
- خطا يا سيِّد (كيندرمان) .. كرات المعلومات لديكم اكبر حجمًا ، وليست فى حجم كرات التنس .. هذا الحجم الجديد هو تطوير خاص ، من ابتكار أحد علمائنا ، ولم يستخدمه سوانا بعد .
اضطرب (كيندرمان) اكثر ، وارتبك مع العيون المتطلِّعة إليه ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، فقال (اكرم) فى صرامة عصبية :
- إننا ننتظر الجواب يا سيد (كيندرمان) .
ازدرد (كيندرمان) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :
- حسنٌ .. انا اعترف .

اتسعت عيون (واتسن) و (أوتو) فى دهشة ، وتراجعت (ناتاشا) بحركة حادة ، وانعقد حاجبا (نور) وشهق (خالد) و (غسان) ، فى حين قال (اكرم) :

- حقًا ؟!

اندفع (كيندرمان) يقول فى حدة :

- نعم .. اعترف اننا نتجسس عليكم منذ فترة طويلة ، وان لدينا الكثير من المعلومات عنكم ، ولكن هذا لا يعنى اننى القاتل .. انا هنا فى مهمة علمية بحتة ، ولا شان لى بالأعمال البوليسية .

هتف (اكرم) فى حنق :

- اه .. وهل من المفترض ان نقتنع بهذا يا سيد (كيندرمان) ؟!.. إذن فانت تتجسس علينا منذ فترة طويلة ، محاولاً معرفة اسرارنا ، ثم تتاح لك فرصة العمل بيننا ، فتتوقف بغتة عن التجسس ، وتتحول إلى شخص مسالم وديع .. يا لها من قصة منطقية !!

قال (كيندرمان) فى انفعال :

- لم اقل إننى كنت اتجسس عليكم يا رجل .. قلت : إننا كنا نتجسس عليكم ، والفارق هائل بين الكلمتين ، فانا رجل علم ، ولست جاسوسًا لاية جهة ، اما دولتى فلديها جهاز خاص للتجسس ، هو الذى

يقوم بمثل هذه المهام .. هل فهمت الآن يا سيد (اكرم) .. نحن كدولة كنا نتجسس عليكم منذ زمن طويل ، اما انا كفرد ، فلم افعل هذا ، ولن افعله قط .. ليس لاننى ارفض معاونة دولتى فى هذا الشان ، ولكن لاننى لست مؤهلاً للقيام بمثل هذا العمل .

بدا مزيج من القلق والحيرة على الوجوه ، بعد هذه المرافعة المحدودة ، وعاد الصمت والوجوم يخيمان على المكان ، حتى قطعهما (نور) ، قائلاً :

- فليكن .. سنطرح هذا الأمر جانبًا الآن ، وسنبدأ عملية بحث عن كرة المعلومات فى المكوك ، كما سندرس كيفية إجراء اتصالات جديدة مع الأرض بوسيلة ما .. وحتى نتفادى ما يمكن أن يفعله الجاسوس القاتل ، فى تلك المرحلة ، فإننا سنبحث عن الكرة فى ثلاثة محاور .. الأول فى حجرة القيادة وحجرة الاتصالات وغرف الأفراد ، وسيتولى هذه المهمة (ناتاشا) و (واتسن) و (خالد) ، والثانى فى مخازن المعدات ، وحجرة الاجتماعات وممرات التهوية ، وهذه مهمة (كيندرمان) و (أوتو) و (غسان) ، والثالث فى قاع المكوك ، وساتولى انا و (اكرم) هذا الجزء .

سالته (نادية) فى شىء من العصبية :

- وماذا عنا أنا و (عماد) ؟

تطلّع إليها (عماد) بنظرة ضائعة ، قبل أن يتمتم :

- نعم .. ماذا عنا ؟!

أجاب (نور) فى صرامة :

- ستبقيان هنا ، فى حجرة الاجتماعات ، ولن يسمح لكما بمغادرتها ، حتى تنتهى عمليات البحث تمامًا .

قالت (نادية) فى غضب :

- أنا أرفض هذا .. صحيح أننا لسنا ضمن الحملة ، ولكن وجودنا هنا يجعلنا جزءًا من العملية كلها ، وسنواجه نفس المخاطر التى تواجهونها ، شئنا أم أبينا .

أجاب (نور) فى صرامة أشدّ :

- حاولى ألا تنسى أننى القائد هنا ، وأننى لن أقبل أية معارضات فى هذه المرحلة ، ومادمت هنا ، فستنفذين أوامرى بلا مناقشة .. هل فهمت هذا ، أم أننى مضطر للتكرار ؟!

تطلّعت إلى عينيه لحظة فى صمت ، ثم مطّت شفتيها ، قائلة :

- فليكن .

ثم أشاحت بوجهها ، وهى تقول لرفيقها فى عصبية :

- اجلس يا (عماد) .. إنهم لا يحتاجون إلينا الآن .

أطاعها الشاب دون مناقشة ، وتمتم :

- لا يحتاجون إلينا ؟!

رمقهما (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يشير للآخرين ، قائلاً :

- هيا .. سنبدأ عملية البحث الآن .

تبادل الجميع نظرات متوترة ، وكل منهم يحمل فى أعماقه جبلاً من الشكوك ، ثم قال (كيندرمان) فى عصبية :

- أقترح أن نقوم بهذه المهمة معًا .. أعنى ألا ينفصل أفراد أى فريق لأى سبب .. لابد أن يعرف كل منا أين يقف زميلاه فى كل لحظة .

أجابه (نور) فى حزم :

- اقتراح مقبول يا سيِّد (كيندرمان) .

تنهّد (كيندرمان) فى ارتياح ، وقال :

- عظيم .. دعونا نبدأ العمل إذن .

غادرت المجموعة الأولى حجرة الاجتماعات ، وكذلك (نور) و (أكرم) ، فى حين قال (كيندرمان) على لسان مجموعته :

- فلنبدأ بالبحث هنا ، ثم نواصل عملنا فى الخارج .

تبادلت (نادية) نظرة صامتة مع (عماد) ، وقالت :
- هذا افضل بالتأكيد ..
ولكن عينيها كانتا تحملان نظرة عجيبة .
نظرة لا تبعث على الارتياح ..
ابدًا ..

* * *

تنهّد (اكرم) فى ضجر ، وهو يبحث عن كرة المعلومات مع (نور) ، فى قاع المكوك ، قبل ان يلتفت إلى هذا الأخير ، قائلاً :
- مستحيل يا (نور) !.. إننا نبحث عن تلك الكرة منذ اكثر من ساعتين ، دون ان يبدو لها ادنى اثر .. انت واثق من انها هنا ؟
توقّف (نور) عن البحث ، وهو يجيب :
- تمام الثقة ، فلو اننى فى موضع ذلك الجاسوس ، لما تركت شيئًا ثمينًا كهذا خارج المكوك .
لوّح (اكرم) بذراعه ، هاتفًا :
- اين هى إذن بالله عليك ؟
صمت (نور) بضع لحظات ، قبل ان يهزّ رأسه ، مجيبًا :
- لست ادرى يا (اكرم) .. لست ادرى .. إنها هنا فى مكان ما .. ليس لدى ادنى شكّ فى هذا .

جلس (اكرم) فوق احد الأجهزة ، وهو يقول :
- قل لى يا (نور) : من ذلك الجاسوس فى رايك ؟
جلس (نور) بدوره ، قائلا :
- كل شخص هنا يحتمل ان يكون الجاسوس يا (اكرم) ، فلا احد لديه دليل نفى لهذا .. (واتسن) و (خالد) انفصلا خارج المكوك ، وكذلك (ناتاشا) و (نازسكى) ، وحتى (كيندرمان) و (اوتو) كانا خارج المكوك ، دون اسباب مقنعة ، و (غسان) ليس لديه دليل واحد على انه غادر المكوك للبحث عنا ، قبل ان يهاجمنا ذلك الجاسوس .
قال (اكرم) مستنكرًا :
- ولكن (غسان) انقذ حياتنا .
هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :
- هذا يحسّن موقفه إلى حد كبير ، ولكنه لا يخرجه تمامًا من دائرة الشبهات .
اومأ (اكرم) براسه متفهمًا ، وقال :
- عظيم .. هذا يعنى ان الجميع مشتبه فيهم ، باستثنائنا نحن و (عماد) و (نادية) .
تنهّد (نور) ، وقال :
- ربما يمكننا استثنائهما من عملية التجسّس ، والاستيلاء على كرة المعلومات ، ولكنهما مشتبه فيهما فى اتجاهات أخرى .

بدت الدهشة على (أكرم) ، وهو يقول :

- مشتبه فيهما ؟!.. ألم تقل : إنك فحصت اسطوانتى الأكسجين بنفسك ، وتأكدت من أن موشريهما تالفان .

أجابه (نور) :

- هذا صحيح ، ولكن المصادفة لا تروق لى أبدًا .. لماذا يتعطل المؤشران فى آن واحد ؟!

قال (أكرم) فى اهتمام :

- ربما تعطلت كل الأجهزة والمؤشرات مع الكارثة .

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- هذا احتمال وارد ، من الناحية العلمية ، ولكن كيف تفسِّر حدوث العطل عند رقم ثابت فى الأسطوانتين ؟!

عقد (أكرم) حاجبيه بضع لحظات مفكِّرًا ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغمًا :

- لست أدرى .. ربما كان هناك تفسير علمى لهذا .

مال (نور) نحوه ، قائلاً :

- ربما .. ولكن حتى نتوصل إلى هذا التفسير ، فهما من المشتبه فيهما .

ساله (أكرم) فى شىء من الحيرة :

- فى أى أمر ؟!.. لقد عثرنا عليهما فى قاعدة تم تدميرها بالكامل ، فما الذى يدينهما فى هذا بالضبط ؟

تراجع (نور) فى صمت ، ثم هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

كان صوته يحمل قدرًا هائلاً من الغموض ، ضاعف من حيرة (أكرم) وتوتره ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهمّ بإلقاء سؤال ما على (نور) ، لولا أن نهض هذا الأخير ، وهو يقول فى حزم :

- هيا نواصل البحث .

لحق به (أكرم) إلى تلك القاعة ، التى تحوى مركبة الفضاء الصغيرة ، وساله :

- (نور) .. إنك تخفى شيئًا ما .. أليس كذلك ؟!

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- ما الذى وضع فى رأسك هذه الفكرة ؟

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- اسمع يا (نور) .. لست أحب هذا الأسلوب ، الذى ...

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، انطفأت أضواء المكان كلها دفعة واحدة ..

وسرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ..

فمع انتفاء أى سبب طبيعى لحدوث هذا ، لم يكن لانقطاع الأضواء سوى تفسير واحد ..

ان القاتل يستعد لضربة جديدة ..
ولضحية جديدة ..

* * *

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ؛ ليستقبل الدكتور (ناظم) ، الذى بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحمل ملفًا ضخمًا ، ويهتف فى ارتياع :

- كارثة .. كارثة رهيبة أيها القائد .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يساله فى انفعال شديد :

- ماذا حدث يا رجل ؟!.. ماذا حدث بالله عليك ؟!.. التقط انفاسك واخبرنى ما لديك .

القى الدكتور (ناظم) جسده على المقعد ، وراح يلهث فى انفعال ، وهو يقول :

- الصور .. الصور الجديدة للدوّامة حملت إلينا مفاجاة غير متوقّعة .. مفاجاة خطيرة للغاية .

ساله القائد الأعلى ، وقد تضاعف توتره وانفعاله :

- اية مفاجاة !.. لا تثر اعصابى اكثر يا رجل .. اخبرنى بالله عليك !

التقط الدكتور (ناظم) انفاسه ، وراح يخرج عددًا من الصور ، من الملف الذى يحمله ، وهو يجيب فى توتر شديد :

- انظر إلى هذه الصور الجديدة .. راقب مركز

الدوامة .. هل تلاحظ كيف اتسع ؟!.. هل ترى كم هو شديد السواد ؟!

تطلّع القائد الأعلى إلى الصور ، قبل أن يساله :

- وما الذى يعنيه كل هذا ؟!.

اجابه الدكتور (ناظم) بانفاس لاهثة :

- إنها ليست ظاهرة غامضة ، كما كنا نتصوّر .. إنها ظاهرة قديمة معروفة ، ولكننا نشهد تكوّنها لأوّل مرة ، وعلى نحو يخالف كل النظريات القديمة التى تناولتها ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى انفعال جارف :

- إننا نشهد ، ولأوّل مرة فى تاريخ العلم ، مولد ثقب اسود .. فجوة سوداء .. فى قلب مجموعتنا الشمسية .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، وهو يقول :

- فجوة سوداء ؟!.. يا إلهى !.. إن معلوماتنا السابقة عن تلك الفجوات السوداء هى انها نجوم منهارة ، انكمش حجمها ، وتضاعفت كثافتها وقوة جذبها إلى الذروة ، بحيث راحت تجذب إليها كل ما يحيط بها ، حتى الضوء ، وتلتهمه فى شراهة حتى تفنيه فى مركزها(*) .

(*) إحدى النظريات التى تناولت امر الفجوات السوداء فى الفضاء .

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه ، قائلاً :

- من الواضح انها ليست كذلك .. إنها فجوات بالفعل ، كما نطلق عليها .. والدليل على هذا هو ان واحدة منها قد نشات فى مركز ذلك الانفجار الهائل ، وهى تتسع بسرعة مخيفة ، وتتضاعف قوة جذبها فى كل لحظة ، وعلى نحو فاق حتى كل توقعاتنا وحساباتنا السابقة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يحدِّق فى وجه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- فاقت توقعاتكم وحساباتكم ؟!.. ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه فى اسف واضطراب ، قائلاً :

- ذلك الاتساع فى حجم الفجوة السوداء الجديدة ، فى مركز الدوَّامة ، جعلنا ننتبه إلى انها لا تتسع بمقدار ثابت ، وإنما بعجلة تصاعدية سريعة ، بحيث يتضاعف محيطها كل ثلاث ساعات .. ومع هذا الاتساع السريع ، اختلفت تقديراتنا كلها .

ازدرد القائد الأعلى لعابه فى صعوبة ، وهو يساله :

- إلى اية درجة ؟!

زفر الدكتور (ناظم) ، وهو يجيب :

- طبقًا لتقديراتنا الجديدة ، ستصبح الدوَّامة قادرة على جذب كل ما على سطح القمر او حوله ، خلال ست ساعات فحسب ، وعلى جذب القمر كله بعد عشر ساعات ، ثم يحين دور الأرض نفسها ، بعد اثنتى عشرة ساعة فحسب من الآن .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، هاتفًا :

- اثنتى عشرة ساعة ؟!.. يا إلهى !.. وكيف يمكننا منع حدوث هذا ؟

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه فى اسف ، قائلاً :

- ليست هناك وسيلة واحدة لهذا للأسف .

اتسعت عينا القائد الأعلى اكثر واكثر ، وخفق قلبه فى عنف ، والدكتور (ناظم) يجيب فى مرارة :

- لن نجد الوقت حتى لتحذير (نور) .

ترك القائد الأعلى جسده يهوى على اقرب مقعد إليه ، وهو يردِّد :

- وما الفائدة !.. وما الفائدة من تحذيره ؟!

وكان على حق ..

ما الفائدة ؟!..

* * *

انتفض جسد (أوتو) فى عنف ، عندما انقطع التيار الكهربى بغتة ، وساد الظلام داخل المكوك ، وهتف فى عصبية :

- ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!.. حوادث قتل متتالية ، ثم تنطفئ الأنوار دون مقدمات !!.. أى مصير ينتظرنا فى هذا المكوك اللعين .

أجابه (غسّان) فى شىء من القلق :

- من الواضح أنه انقطاع تام ، وهذا يعنى أن خللاً قد أصاب أحد المسارات الرئيسية للتيار ، أو أن أحدهم قد عبث بالمولّد الكهربى فى القاع .

هتف (كيندرمان) :

- آه .. القاع .. ليس هناك فى القاع سوى القائد وزميله .. تُرى لماذا قطعا التيار .

أجابه (غسان) فى صرامة :

- القائد و (أكرم) فوق الشبهات يا رجل .

قال (كيندرمان) فى حدة :

- ولماذا تستبعدهما ؟!

أجابه (غسّان) فى صرامة :

- لأنه ليس لديهما مبرّر للقيام بكل هذا .

قال (كيندرمان) محتدًا :

- ومن أدراك ؟!

ثم استطرد فى عصبية :

- لماذا لا يفعل أحد شيئًا بخصوص هذا الظلام ؟! هل سنغرق فيه إلى الأبد ؟!

تنهّد (أوتو) ، وقال :

- سأذهب للبحث عن وسيلة لإعادة الأضواء .

سمع (كيندرمان) و (غسّان) وقع قدميه ، وهو يغادر الحجرة ، وران عليهما الصمت بضع لحظات ، قبل أن يغمغم الأول :

- ما معنى هذا ؟!.. كيف سيجد وسيلة لإعادة الأضواء .. إننا لا نكاد نتلمّس طريقنا ، وسط هذه الظلمة الدامسة ؟!

انعقد حاجبا (غسّان) ، وهو يتمتم :

- نعم .. كيف سيفعل هذا ؟!

وتسلّل الشكّ إلى أعماقه ، وهو يضيف :

- هل تعتقد أنه ..

قاطعه بغتة وقع أقدام تتجه إلى مكانه فى ثبات ، فانعقد حاجباه أكثر ، وهو يتمتم :

- عجبًا !.. إنه شخص يسير فى ثقة ، كما لو أنه يعرف طريقه جيدًا .

تمتم (كيندرمان) ، والخوف يعتصر قلبه :

- او انه يرى طريقه فى وضوح .

قال (غسّان) فى دهشة ، وهو يتراجع بلا هدف ، ووقع القدمين يصكّ مسامعه :

- يراه ؟!.. فى هذه الظلمة .

اجابه (كيندرمان) ، وهو يلتصق بالجدار مذعورًا :

- هناك اجهزة عديدة للرؤية الليلية ، وهى متوافرة ورخيصة الثمن ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما توقّف وقع القدمين عند باب مخزن المعدات ، الذى يقفان داخله ، وران على المكان صمت رهيب ، استغرق ثانيتين فحسب ، ولكنهما بدتا اشبه بدهر كامل ، بالنسبة لـ (كيندرمان) و (غسّان) ، قبل ان يقول الاخير فى عصبية :

- سيّد (اوتو) .. اهو انت ؟!.

جاوبه صمت مطبق ، ضاعف من عصبيته وتوتره ، وهتف (كيندرمان) :

- لو انه انت يا (اوتو) فـــاجب يا رجل .. اعصابنا لن تحتمل هذا العبث .. اجب بالله عليك .

اجب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق شعاع من الليزر يشقّ المكان ، قبل ان يخترق راس (كيندرمان) ، الذى شهق فى قوة ، وجحظت عيناه فى شدة ، ثم هوى جثة هامدة ، عند قدمى (غسّان) ، الذى هتف فى عصبية زائدة :

- من انت ؟!.. من انت ايها الوغد ؟!.. لماذا تفعل بنا هذا ؟!

ولوّح بذراعيه فى عنف ، محاربًا عدوًا مجهولاً ، لا تراه عيناه ، فى حين لاذ خصمه بالصمت التام ، وتركه يقاتل الهواء بضع لحظات ، حتى هتف ، وهو يلهث فى شدة ، من فرط التوتر والانفعال :

- من انت ؟!.. اجب ايها الوغد .. اجب .

ثم صرخ :

- اللعنة على هذا الظلام .. اللعنة !

انبعث وسط الظلام الدامس صوت ساخر يقول :

- بل ما افضله .

انتفض جسد (غسّان) فى عنف ، عندما سمع العبارة ، وتراجع فى حدة كالمصعوق ، حتى ارتطم بالجدار ، واتسعت عيناه عن اخرهما فى الظلام الدامس ، وهو يهتف ذاهلاً :

انتفض جسد (غسان) فى عنف ، عندما سمع العبارة ، وتراجع فى حدة كالمصعوق ..

- مستحيل !.. إذن فهو أنت .

أجابه الصوت الساخر :

- نعم .. هو انا أيها العبقرى .

سقط فكه السفلى من فرط الذهول ، و ...

وانطلق شعاع آخر من الليزر ..

واصاب هدفه كالمعتاد ..

وعندما سقط (غسان) جثة هامدة ، إلى جوار جثة (كيندرمان) ، ران على المكان ذلك الصمت الرهيب لحظات أخرى ، ثم عاد وقع الأقدام يرتفع ، وصاحبها يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد .

* * *

٨ - الساعات الأخيرة ..

انحنى (نور) يفحص جثة (غسّان) فى أسف ، وهزّ رأسه مغمغمًا فى حنق :

- لا يمكن أن يستمر هذا إلى الأبد .

ثم نهض ليواجه الباقين ، ورفع يده أمامهم بجهاز صغير مستطردًا :

- من الواضح أننا لا نواجه جاسوسًا بسيطًا ، وإنما نواجه شخصًا محنكًا ، بالغ الذكاء والبراعة .

تمتم (اكرم) :

- والقسوة .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسة ، وعاد يشير إلى الجهاز الصغير ، مكملاً :

- لقد عثرنا على هذا ، عند الكابلات الرئيسية فى قاع السفينة .. إنه جهاز بسيط ، يمكن ضبطه على موعد محدود ، بحيث يفصل الكابلات عن المولّد لفترة محدودة ، ينقطع خلالها التيار الكهربى ، وتتوقّف كل نظم الأمن والإضاءة داخل المكوك ، مما يمنع الجاسوس فرصة التحرك بحرية ، والظفر بضحية جديدة .

ارتجف صوت (ناتاشا) ، وهى تقول :

- لقد ظفر بضحيتين هذه المرة .

أجابها (نور) فى حزم :

- هذا لأنه كانت لديه فرصة مثالية ، مع اجتماعهما فى حجرة واحدة .

أطلق (أوتو) زفرة حارة ، وهو يقول :

- كان من الممكن أن يظفر بثلاث ضحايا ، لولا أننى غادرت الحجرة ، بحثًا عن وسيلة لإعادة التيار الكهربى .

ساله (اكرم) فى شىء من الصرامة :

- وهل يبدو لك هذا منطفيًا ؟

ساله (أوتو) فى عصبية :

- ماذا تعنى يا سيّد (اكرم) ؟ ! .. هل تتهمنى بأننى القاتل ؟

أجابه (اكرم) فى حدة :

- ولِمَ لا ؟ ! .. لماذا لا تكون قد تظاهرت بالانصراف ، لترتدى منظارًا خاصًا ، يتيح لك القدرة على الرؤية فى الظلام ، ثم عدت لتقتل الرجلين .

هتف (أوتو) :

- ولماذا أنا ؟ ! .. لماذا لا يكون أى شخص آخر ؟

صاح به (اكرم) :

- مثل من ؟ !

أشار (أوتو) بيديه حوله ، قائلاً :

- اى شخص .. (واتسن) ، أو (خالد) ، أو (ناتاشا) .. أو حتى انت .. كل شخص هنا يمكن أن يكون القاتل .

أجابه (نور) فى صرامة :

- انا لم افترق عن (اكرم) لحظة واحدة و (واتسن) و (خالد) و (ناتاشا) كانا معًا ، و ... قاطعته (ناتاشا) ، وهى تتنحنح فى حرج ، مغمغمة :

- نعم .. فى معظم الوقت .

التفت إليها (نور) فى حدة ، وقال :

- معظم الوقت ؟ ! .. المفترض انكم لم تفترقوا قط .

ترددت لحظة ، وهى تنظر إلى رفيقيها فى قلق ، فقال (خالد) :

- كان هذا صحيحًا ، حتى انقطع التيار الكهربى ، او بمعنى ادق ، قبل ان ينقطع بدقائق معدودة ، فقد تولى كل منا مهمة تفتيش واحدة من الغرف ، وبينما كنا نفعل ، انطفأت الأنوار بغتة .

قال (نور) فى صرامة :

- وكان كل منكم فى حجرة منفصلة عندئذ !

تنهد (خالد) واوما براسه إيجابًا ، فى حين قال (واتسن) فى عصبية :

- وماذا فى هذا ؟ ! .. الحجرات كلها فى ممر واحد ، ولقد التقينا ثانية ، بعد دقائق معدودة من انقطاع التيار .

ساله (نور) :

- بعد كم دقيقة بالضبط ؟ !

هزَّ راسه فى حيرة ، قبل أن يجيب :

- سبع او ثمان دقائق على الأكثر .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

- لو اننى ذلك القاتل ، واعرف الموعد الذى سينقطع فيه التيار الكهربى بالضبط ، فإن ارتدائى للمنظار الخاص بالرؤية الليلية ، ووصول إلى المخزن لارتكاب جريمتى ، ثم العودة إلى هنا ، لن يستغرق هذه الدقائق السبع .

تراجعت (ناتاشا) فى شىء من الخوف ، وهى تتنقل ببصرها بين زميليها ، متمتمة :

- هذا صحيح .

انعقد حاجبا (خالد) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تتهمنا ايها القائد ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

- نعم .. إننى اتهمكم جميعًا ، وبكل صراحة ووضوح .

انفعل (اوتو) بشدة ، وهو يقول :

- انا ارفض هذا الاتهام السخيف .. لقد حضرنا من اوطاننا إلى هنا ؛ لنتعاون على حل لغز كارثة هدّت الأرض ، وليس ليقتل بعضنا البعض .

اجابه (نور) فى حزم :

- هذا صحيح بالنسبة للجميع .. فيما عدا القاتل.

هتف به (اوتو) :

- ومن هو ؟ ! اخبرنا بالله عليك ، لو انك ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى نقطة ما خلف (نور) ، فاستدار هذا الأخير فى سرعة إلى حيث ينظر ، ورأى (عماد) يترنّح بشدة ، و (نادية) تسرع نحوه ، هاتفة :

- (عماد) .. ماذا أصابك ؟ ! .. ماذا حدث ؟ !

كان وجه الشاب محتقنًا بشدة ، كما لو أن دماءه كلها قد اندفعت إليه ، وعيناه حاجظتان على نحو مخيف ، وهو يلوّح بيده ، وكأنما يحاول التشبُّث بشيء ما ، وهو يطلق صوتًا عجيبًا من حلقه ، فصرخت (نادية) :

- النجدة .. اغيثوه بالله عليكم .. اغيثوه .

هوى (عماد) أرضًا ، مع آخر حروف كلماتها ، فاندفع الجميع نحوه ، وانحنى (نور) ليفحصه ،

ولكنه لم يكد يلمس جبهته ، حتى تراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

- يا إلهى !

ساله (واتسن) فى توتر :

- ماذا حدث ؟ !

اجابه (نور) بدهشة بالغة :

- إنه ساخن للغاية .

سالته (ناتاشا) فى حيرة :

- اتقصد أنه محموم ؟ !

هزَّ (نور) راسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل ساخن .

تفجّرت الدموع من عينى (نادية) ، وراحت تهزّ (عماد) فى قوة ، هاتفة :

- (عماد) .. لا تستسلم لهذا يا (عماد) .. قاوم .. كلانا يعلم انه يمكنك التحكُّم فى هذه الحرارة اللعينة .. قاوم يا (عماد) .. قاوم بالله عليك .

ولكن وجه الشاب ازداد احمرارًا واحتقانًا ، وراحت أبخرة باهتة تتصاعد من فتحتى أنفه ، ومن بين شفتيه المنفرجتين ، فاتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وغمغم (أكرم) مبهوتًا :

- ما هذا بالضبط ؟ !

هزَّ (نور) رأسه ، مجيبًا :

- لست أدرى ، ولكن درجة حرارته تبلغ ثمانين درجة مئوية على الأقل .

شهقت (ناتاشا) هاتفة :

- ثمانون ماذا ؟ ! .. ولكن هذا مستحيل !

أما (نادية) ، فراحت تصرخ :

- انقذوه .. افعلوا شيئًا .. ألا ترون انه يحترق ؟ !

سألها (نور) فى حيرة :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

صرخت بعينين زائغتين :

- أوقفوا تلك الحرارة اللعينة ! .. اوقفوها بأى ثمن .

تلفَّت (أكرم) حوله فى حيرة ، ثم اندفع يلتقط زجاجة من زجاجات المياه ، وجذب الفك السفلى للشاب ، وهو يصب الماء بين شفتيه ، قائلاً :

- ربما يفلح هذا .

صرخت (نادية) فى ارتياع :

- لا .. ليس الماء .. لا تستخدم الماء .

ولكن تحذيرها جاء بعد فوات الأوان ، وبعد أن انسكب الماء فى حلق الشاب بالفعل ..

وفجأة ، تكاثفت الأبخرة المتصاعدة من أنفه وفمه

بسرعة ، وتحوَّلت إلى سحب من الدخان الكثيف ، و (نادية) تصرخ .

- لا يا (عماد) .. لا .. قاوم .. قاوم .

ومع آخر حروف كلماتها ، انبعث فجأة لسان من اللهب ، من حلق الشاب ، واخذت الأبخرة تتصاعد من مسامه ، و (نادية) تصرخ فى انهيار :

- قاوم .. قاوم .

ثم اشتعل جسد الشاب كله فجأة .

اشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ، كما لو أن مسامه تفرز البنزين بدلاً من العرق ..

وتضاعف ذهول الجميع ، وهم يتراجعون فى حركة سريعة ، فى حين انهارت (نادية) تمامًا ، وقاومت (أكرم) بشدة ، وهو يجذبها بعيدًا عن النيران ، قبل أن يبدأ جهاز الأمن الإليكترونى عمله ، ويحدِّد موضع الحريق ، ثم ينطلق نحوه ذلك السائل الرغوى من كل صوب ..

وخبت النيران أخيرًا ..

خبت بعد دقيقة واحدة ، أو أقل قليلاً ، تاركة خلفها جسدًا متفحِّمًا ، ورائحة شواء مقزِّزة تملأ المكان ..

وفى ذهول تام ، غمغمت (ناتاشا) :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

أما (نور) ، فقد التفت إلى الفتاة المنهارة ، وتمتم :

- كنت أعلم أنه هناك سرا غامض وراء كل هذا .. كنت أعلم .

قالها ، فى نفس اللحظة التى سقطت فيها الفتاة فى غيبوبة عميقة ، تاركة خلفها سرًا عجيبًا ..

وظاهرة جديدة محيِّرة ..

* * *

ضباب عجيب أحاط بمكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، من كل صوب ..

ضباب كثيف ، له لون وردى عجيب ، أصاب (نور) بدهشة بالغة ، وهو يتطلَّع إليه ، من خلف نافذة حجرة القيادة ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

- ما معنى هذا ؟

هزَّ (أكرم) كتفيه ، دون أن يجيب ، وغادر الحجرة فى صمت ولا مبالاة ، حتى أن (نور) هتف محنقًا :

- إلى أين ؟ !

تجاهله (أكرم) تمامًا ، وهو يواصل طريقه ، فانعقد حاجبا (نور) فى حنق ، وهو يقول :

- لماذا لا يهتمّ أحد بما يحدث هنا ؟ !

خُيِّل إليه أن الضباب الوردى يتكاثف أكثر وأكثر ، ويتكوَّن فى أعماقه ما يشبه قبضة مضمومة ، تندفع نحو زجاج نافذة حجرة القيادة ..

وتراجع (نور) فى دهشة ، هاتفًا :

- مستحيل ! ..

ولكن القبضة الضبابية واصلت طريقها ، وارتطمت بزجاج النافذة ، و ...

وحطمته ..

وانخفض الضغط بغته داخل الحجرة ..

وانطلقت صفارات الإنذار ، معلنة حالة الطوارئ ..

وكإجراء أمن وقائى ، تم إغلاق باب الحجرة آليًا ، لعزلها عن باقى المكوك ..

وأصبح (نور) وحيدًا ..

وبكل قوته ، صرخ :

- لا .. ليس هكذا .

وتشبَّث بأحد الأجهزة الثقيلة بكل قوته ، حتى لا يندفع خارج المكوك ، وأحتقن وجهه بشدة ، وجحظت عيناه ، و ...

وفجأة ، ظهر رجل عند النافذة ..

رجل لا يرتدى زيًا فضائيًا ..

واتسعت عينا (نور) فى شدة ، وهو يحدِّق فى وجه ذلك الرجل الذى فرد ذراعيه ، وأغلق النافذة المحطَّمة بجسده ، ليمنع انخفاض الضغط ، وهو يقول فى هدوء ، وبصوت دافئ عميق :

- اطمئن يا (نور) .. لن تلقى مصرعك .. اطمئن .

شعر (نور) بالارتياح ، مع توقُّف انخفاض الضغط ، وهتف فى دهشة ولهفة :

- (محمود) .. إنه أنت .

ابتسم (محمود) ، وقال بصوته العميق :

- نعم يا (نور) .. إنه أنا .

اندفع (نور) نحوه ، قائلاً :

- إذن فأنت حقيقة يا (محمود) .. حقيقة .

أشار إليه (محمود) بيده ، قائلاً :

- توقَّف يا (نور) .. لا تقترب منى .. لا يمكنك أن تفعل .

توقَّف (نور) ، وقال فى دهشة :

- لماذا يا (محمود) ؟ .. لماذا ؟ !

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتى (محمود) ، قائلاً :

- لن يمكنك أن تفهم يا (نور) .. لن يمكنك أن تفهم .

قال (نور) فى لهفة :

- اشرح لى ، وسأبذل قصارى جهدى .

هزَّ (محمود) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

- صدقنى .. لن يمكنك أن تفهم .. القوانين والقواعد هنا تختلف تمامًا عن كل ما عرفته فى حياتك .. كل منطق الدنيا لن ينطبق هنا .

بُهِتَ (نور) للجواب ، وسأله فى تردُّد :

- (محمود) .. هل .. هل أنت فى عالم الموتى ؟ !

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

- كلاَّ يا (نور) .. لست فى عالم الموتى .. الموتى لا يعودون ، ولا يمكنهم التسلُّل إلى أحلامك .. أنا فى عالم آخر .. عالم عجيب ، أشعر فيه بوحدة لا حدود لها ، ولا يؤنس وحدتى سوى (س - ١٨)(*) .. هل تعلم أنه لحق بى هنا ؟ ! .. هو أيضًا لا يجد سبيلاً للعودة ، على الرغم من إمكانياته المتطوِّرة ، التى كانت تبدو لنا وكأنها بلا حدود .

قال (نور) فى لهفة :

- من يدرى يا (محمود) ؟ .. ربما وجدنا نحن سبيلاً لهذا .

ارتسمت على شفتى (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم ٤٧

- ربما يا (نور) .. ربما .

ثم استطرد فى اهتمام مشوب بالقلق :

- ولكن ينبغى ان تبذل قصارى جهدك لإنقاذ الأرض اولاً .

ساله (نور) فى دهشة :

- وما الخطر الذى يهدِّد الأرض يا (محمود) ؟

اشار (محمود) بيده إلى اعلى ، مجيبًا :

- ذلك الثقب يا (نور) .. الفجوة التى صنعها الانفجار .. إنهار تهدِّد الأرض كلها يا (نور) .

ردَّد (نور) فى قلق شديد :

- الفجوة ؟ ! .. اية فجوة ؟ !

تراجع (محمود) فى بطء ، وهو يقول :

- هناك يا (نور) .. فى مركز الانفجار .. إنها فجوة إلى عالم عجيب .. مخيف .. لا تجعلها تبتلع الأرض يا (نور) .. ابذل قصارى جهدك لمنع هذا .

واصل تراجعه فى بطء ، والنافذة الزجاجية تتكوَّن ثانية ، وكانها فيلم سينمائى ، يتم عرضه عكسيًا ، فهتف (نور) :

- انتظر يا (محمود) .. انتظر .. لا تنصرف الآن .

اجابه (محمود) فى اسى ، وهو يتراجع ، ويتراجع ، وصوته يزداد عمقًا وخفوتًا :

- ليتنى استطيع يا (نور) .. طاقتى كلها لا تسمح لى بالتواجد إلا لفترات محدودة .. ليتنى استطيع البقاء .

اندفع (نور) نحوه ، حتى التصق بالنافذة الزجاجية ، وهو يهتف :

- لا تنصرف يا (محمود) .. اخبرنى كل ما تعرفه عن الفجوة ، وذلك العالم المخيف خلفها .. لا تنصرف .

ولكن (محمود) ابتعد وابتعد ، وراح يتلاشى فى بطء ، وسط ظلام القمر ، و (نور) يصرخ :

- انتظر يا (محمود) .. انتظر ..

وشعر بغتة بيد تمسك بكتفه ، فانتفض فى عنف ، وقفز من مكانه ، ويده تقفز إلى المسدس الليزرى فى حزامه ، و ...

« رباه ! .. ماذا دهاك يارجل ؟ ! .. »

هتف (اكرم) بالعبارة فى دهشة مستنكرة ، وهو يتراجع فى حركة حادة ، فحدَّق (نور) فى وجهه بدهشة ، ثم التفت يحدِّق فى النافذة المطلَّة على القمر لحظة ، قبل ان يخفض مسدسه ، ويزفر فى حرارة ، مغمغمًا :

- رباه ! .. لقد كان حلمًا آخر .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يساله :

- (محمود) مرة أخرى ؟ !

أوما (نور) برأسه إيجابًا وقال :

- إنه هو .

ثم رفع عينيه متطلعًا إلى النجوم المتألقة فى السماء ، مضيفًا :

- جاء هذه المرة لتحذيرنا .

غمغم (أكرم) فى دهشة :

- تحذيرنا ؟ !

أجابه (نور) ، وهو يواصل تطلعه إلى السماء :

- نعم .. جاء ليحذرنا من فجوة نشأت فى موضع الانفجار ، وتهدد الأرض كلها .

ساله (أكرم) فى قلق :

- كيف ؟ ! ..

انفرجت شفتا (نور) ، وهمّ بإجابة سؤال (أكرم) ، إلا أنه لم يلبث أن قطب جبينه ، وتنهد فى عمق ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- لا عليك .. إنه مجرد حلم .

تطلع إليه (أكرم) لحظات فى صمت ، ثم ساله :

- (نور) .. هل تؤمن حقًا بهذا ؟

التفت إليه (نور) ، يساله :

- بماذا ؟ !

قال (أكرم) فى حزم :

- اتؤمن حقًا بانه مجرد حلم ؟

تطلع إليه (نور) لحظات فى حيرة مترددة ، قبل أن يقول :

- العلم يؤكد انه كذلك .

قال (أكرم) :

- لست اسالك عن رأى العلم ، وإنما عن رأيك الشخصى .

واصل (نور) صمته لبضع لحظات ، قبل أن يتمتم :

- لست أدرى يا (أكرم) .. صدقنى .. لست أدرى .

وعاد إلى صمته لحظات إضافية ، شرد خلالها بصره وتفكيره ، إلا أنه لم يلبث أنه استعاد حزمه ، وهو يسأل (أكرم) :

- هل استعادت (نادية) وعيها ؟ !

أدرك (أكرم) أنها محاولة للفرار من الحديث عن الحلم ، ولكنه أجاب فى بساطة :

- ليس بعد ..

ثم سأل فى اهتمام :

قل لى يا (نور) : ألديك تفسير لما أصاب رفيقها ؟ .. لقد احترق أمام عيوننا جميعًا .. رباه ! ..

لست اظننى بقادر على نسيان هذا المشهد ما حييت !

تنهّد (نور) ، وقال :

- انه ليس اللغز الوحيد ، الذى يحتاج إلى تفسير يا (اكرم) .

قالها ، وساله فى قلق :

- اين الجميع ؟ !

اجابه (اكرم) :

- فى حجراتهم .. لقد امرتهم بان يلزم كل منهم حجرته ، والا يستقبل سواى وسواك ، حتى تجتمع بهم .

ساله (نور) فى حيرة :

- ولماذا فعلت هذا ؟

ابتسم (اكرم) ابتسامة مشفقة ، وهو يجيب :

- عندما اتيت إلى هنا ، منذ ثلاث ساعات ، ورايتك غارقًا فى نوم عميق ، ادركت ان جسدك يحتاج إلى هذا النوم بشدة ، حتى يستعيد نشاطه ، ويستعيد عقلك حيويته وصفاءه .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- ثلاث ساعات ؟ ! .. رباه ! .. هل اضعت ثلاث ساعات كاملة ؟ !

هزّ (اكرم) كتفيه ، وقال :

- وماذا فى هذا ؟ ! .. إنك لن تظلّ مستيقظًا أبد الدهر .. كل مخلوق حى يحتاج إلى النوم .

تحرك (نور) فى توتر ، وهو يقول :

- لا احد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعات الثلاث .

ساله (اكرم) ، وهو يلحق به خارج الحجرة :

- ما الذى تفكّر فى فعله ؟

اجابه (نور) ، وهو يتجه نحو حجرة الاجتماعات :

- ما اتينا من اجله .. جمع المعلومات حول الكارثة .

قال (اكرم) فى حيرة :

- ولكننا لم نستعد كرة المعلومات بعد .

قال (نور) فى حزم :

- هناك امور اخرى ينبغى ان نفعلها .. لقد انشغلنا باختفاء كرة المعلومات ، وبامر الجاسوس الخفى ، وبعمليات القتل التى ارتكبها ، حتى اننا لم نؤد ما تبقّى من اعمالنا ، فلم نبدأ عملية رصد الظاهرة ، بالتليسكوب الفضائى الذى حملناه معنا من الأرض ، ولم نبحث بعد عما اصاب القاعدة بالضبط .. بل ، ولم نطلق حتى المركبة الفضائية ، لفحص مركز الانفجار عن قرب .

ساله (اكرم) فى دهشة :

- وهل تنوى ان تفعل كل هذا ، بفريق يضمّ قاتلاً نجهل هويته ؟ !

اجابه (نور) فى حزم :

- بالضبط .

ثم ضغط زر الاتصال الداخلى ، وهو يقول عبر عدد من مكبرات الصوت ، منتشرة فى كل مكان بالمكوك :

- هنا القائد (نور) .. ادعوكم لاجتماع عام فورًا ، فى حجرة الاجتماعات .

ورفع عينيه إلى (اكرم) ، يساله فى حزم :

- هل فحصت المنظار الفضائى ، وتاكّدت من انه صالح للعمل ؟

اومأ (اكرم) براسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. يمكنك استخدامه فى اية لحظة الآن .

ساله (نور) :

- وماذا عن المركبة الفضائية الصغيرة ؟ !

اجاب (اكرم) :

- هى ايضًا معدّة للاستخدام .

هزّ (نور) راسه فى ارتياح ، مغمغمًا :

- عظيم .. عظيم .

وصل (اوتو) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

- انا هنا ايها القائد .. متى يبدأ الاجتماع ؟

اشار إليه (نور) بالجلوس ، قائلاً :

- عندما يصل الجميع يا سيّد (اوتو) .. اجلس .

وصل بعده (واتسن) ، ثم (خالد) ، وانتظر الجميع لدقائق خمس ، قبل ان يمطّ (خالد) شفتيه ، قائلاً فى مزيج من العنف والعصبية :

- (ناتاشا) لم تصل بعد .. لماذا تضيع النساء الكثير فى الوقت دائمًا ؟

انعقد حاجبًا (اكرم) فى قلق ، وهو يقول :

- ولكن (ناتاشا) ليست من ذلك الطراز .. إنها امراة عملية ، وتصل دائمًا فى موعدها بالضبط ، حتى انه ليدهشنى بحق انها قد تاخّرت هذه المرة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! .. اخشى ان ..

استلّ (نور) مسدسه الليزرى فى حركة حادة ، ووثب عبر مائدة الاجتماعات ، وقد ادرك ما يعنيه (اكرم) ، وهتف :

- يا إلهى ! ..

انطلق الاثنان يعدوان نحو حجرة (ناتاشا) ، وهتف (اكرم) فى غضب :

– لو ان ذلك القاتل الوغد مسّ شعرة منها ، فاقسم ان امزّقه إربًا بلا رحمة .

هتف به (نور) ، وهو يندفع نحو حجرة (ناتاشا) ، ويدفع بابها بكتفه :

– المهم ان تعرف اولاً من هو .

انفتح الباب فى عنف مع ضربته ، وصوّب هو و (اكرم) مسدسيهما إلى داخل الحجرة ، قبل ان يهتف الاخير فى هلع :

– رباه ! .. لقد فعلها .

ففى منتصف الحجرة بالضبط ، كانت (ناتاشا) ترقد ساكنة ، ومسدسها الليزرى فى قبضتها ، وحول راسها وعنقها بقعة كبيرة ..

بقعة من سائل الحياة ..

الدم .

* * *

ففى منتصف الحجرة بالضبط ، كانت (ناتاشا) ترقد ساكنة ، ومسدسها الليزرى فى قبضتها ..

٩ - الضحايا ..

تأوّهت (ناتاشا) ، وهى تفتح عينيها فى بطء ، وحدّقت فى الوجوه المحيطة بها بنظرة مذعورة ، قبل أن تحاول النهوض فى حركة حادة ، وهتفت :

- إنه هنا .. القاتل هنا .

ربّت (نور) على كتفها محاولاً تهدئتها ، ودفعها فى رفق ليعيدها إلى فراشها ، وهو يقول :

- اطمئنى يا (ناتاشا) .. لقد نجوت .. انت اول من ينجو من ذلك القاتل .. يبدو انه وقع اخيرًا فى الخطأ ، الذى سيكشف أمره .. لقد اصابت اشعة مسدسه كتفك بدلاً من رأسك .. اخبرينا يا (ناتاشا) من هو بالضبط ؟

بدا التوتر على وجوه (واتسن) و (خالد) و (أوتو) ، وهم يتبادلون نظرة عصبية ، فى انتظار ماستتفوه به الروسية ، التى بكت فى حرارة ، قائلة :

- لست أدرى ؟! .. لم أره قط .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وقال (أكرم) :

- كيف ؟! .. لقد أصاب كتفك ، وكنت تمسكين مسدسك الليزرى ، وهذا يعنى أنك قاومته على نحو ما .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- هذا صحيح .. لقد قاومته بكل قوتى ، ولكننى لم أر وجهه قط .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ماذا حدث بالضبط يا (ناتاشا) ؟! .. اخبرينا .

انتحبت (ناتاشا) بضع لحظات ، قبل أن تقول :

- لقد استغرقت فى النوم ، فور عودتى إلى حجرتى ؛ لأننى كنت اشعر بإرهاق شديد ، ولكننى وضعت مسدسى الليزرى أسفل وسادتى ، خوفًا من ذلك الجاسوس القاتل .. وفجأة ، تناهى إلى مسامعى صوت خافت ، جعلنى اهب من فراشى مذعورة ..

واتسعت عيناها فى رعب ، وكأنها تستعيد تلك اللحظات ، قائلة :

- وعندئذ رأيته .

ردّد (أوتو) فى قلق :

- رأيته ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. كانت الحجرة مظلمة ، ولكنه كان يقف هناك ، عند الباب ، ومسدسه مصوّب إلى رأسى مباشرة ، فوثبت من مكانى ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها مسدسه ، ورأيت شعاع الليزر يخترق وسادتى ، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأسى ،

فاصابنى الذعر ، فلجات إلى مهاجمته ، كوسيلة اخيرة يائسة للنجاة منه ، وتشبثت اصابعى بمنظاره ، وانتزعته فى عنف ، ولكنه دفعنى فى قوة ، فارتطمت بالفراش ، وسقطت ارضًا ، ونهضت فى سرعة ، واختطفت مسدسى من اسفل الوسادة ، إلا انه اطلق النار اولاً ، وشعرت بالم رهيب فى كتفى ، فاطلقت صرخة مكتومة ، وفقدت وعيى ، ولم اشعر إلا وانا استعيده هناك بينكم .

تبادلوا جميعًا نظرة متوترة ، ثم قال (خالد) :

- من الواضح ان ذلك القاتل ظن انه قتلها باشعة مسدسه ، فانطلق هاربًا من حجرتها ؛ خشية ان يكون احدنا قد التقط صرختها المكتومة ، واسرع لنجدتها.

غمغم (اوتو) فى تردُّد :

- اظنه تفسير منطقى تمامًا .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

- ولكنه يعنى ان القاتل هو احدكم ايها السادة .. انت او (خالد) او (واتسن) .

شحب وجه (اوتو) ، وقال فى عصبية :

- إنه ليس انا على اية حال .

اجابه (واتسن) فى حدة

- هل يمكنك إثبات هذا ؟

لوّح (اوتو) بذراعه ، هاتفًا :

- انا لم اغادر حجرتى لحظة واحدة ، حتى استدعانى القائد (نور) لعقد الاجتماع .

قال (خالد) :

- من السهل ان يدّعى كل منا هذا .

هتف (اوتو) فى حدة :

- وكيف يمكنك ان تثبت انك كنت وحدك فى حجرتك ؟!

اشار (نور) بيده فى صرامة ، قائلاً :

- مهلاً ايها السادة .. اعتقد انه ليس من المنطق او الحكمة ان نضيع الوقت فى شجار كهذا ، فى مثل هذا الوقت .. تُرى أيدرك احدكم ، حتى القاتل ، انه من المحتمل اننا نواجه خطرًا داهمًا ، بسبب تلك الفجوة ؟!

اطلّت الدهشة فى عيونهم جميعًا ، وقالت (ناتاشا) :

- اية فجوة ؟!

عقد (نور) حاجبيه ، ولوّح بذراعه ، قائلاً :

- كنت اقصد ذلك الانفجار .. لا احد يدرى ما إذا كان قد توقّف عند ماحدث ، ام انه يهدّد بكارثة جديدة .

قال (واتسن) فى عصبية :

– وماذا نفعل فى كل الأحوال ؟! .. إننا سجناء هنا بلا محركات أو أجهزة اتصال .

أجابه نور فى حزم :

– ولكن لدينا مخزون من الهواء والطعام ، يكفينا لأسبوع كامل ، وخاصة بعد أن فقدنا من فقدناهم ، وانقطاع اتصالنا بالقاعدة الأرضية يعدّ سببًا ، لإرسال مكوك طوارئ إلى هنا ، وهذا يستغرق ثلاثة أيام على الأكثر .

قال (أوتو) محنقًا :

– عظيم .. تُرى كم سيتبقّى منا على قيد الحياة ، بعد مرور هذه الأيام الثلاثة ؟

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

– سنبذل قصارى جهدنا لنظل جميعًا على قيد الحياة ، حتى يصل مكوك الطوارئ .. سنضع خطة لـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز مباغت فى المكان ، وأضيء مصباح أخضر فى سقف الحجرة ، فشحب وجه (أوتو) وقال :

– رباه ! .. أحدهم يحاول الخروج من المكوك .

هتف (واتسن) :

– أو الدخول إليه .

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، ثم انطلقا يعدوان معًا ، نحو حجرة معادلة الضغط ، فى حين تمتم (خالد) :

– رباه ! .. لو حدث أدنى خطأ فى استخدام حجرة معادلة الضغط ، فمن الممكن أن نلقى مصرعنا جميعًا فى دقائق معدودة ، بسبب الانخفاض المباغت فى الهواء والضغط والحرارة .

دوت كلماته فى الرءوس ، قبل أن تستقر فى الخلايا الرمادية لمخ أحد الحاضرين ، الذى وجد فيها وحيًا لفكرة جديدة ..

فكرة شيطانية ، تليق بجاسوس ..

جاسوس قاتل ..

* * *

« ساعة واحدة ، وينتهى أمر المكوك ومن عليه .. »

نطق الدكتور (ناظم) العبارة فى مرارة شديدة انقبض لها قلب القائد الأعلى ، واتسعت لها عيناه فى ارتياع ، وهو يحدّق فى وجه الرجل ، مغمغمًا :

– ساعة واحدة ؟!

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى حنق :

- مستحيل ! .. مستحيل أن نقف عاجزين إلى هذا الحد ، ومصير العالم كله فى خطر داهم .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بحق أيها القائد .. ولسنا ندرى ما الذى يمكننا فعله أكثر .. لقد تعاون معنا علماء الفضاء الأوروبيون ، ودرسوا مشكلتنا وتوصلوا إلى وسيلة ، قد تفيد فى إنذار (نور) ورفاقه .

سأله القائد الأعلى دون حماس :

- أية وسيلة هذه ؟

أشار الدكتور (ناظم) بذراعيه ، قائلاً :

- سيستخدمون مراياهم الفضائية العاكسة(*) ، كوسيلة لتفادى الزاوية الحرجة للمكوك ، وإرسال شعاع الليزر الصوتى إليه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى تساؤل ، فتابع الدكتور (ناظم) فى شىء من الحماس :

- سيعدّلون زوايا المرايا العاكسة ، بحيث تستقبل

(*) وضع علماء الفضاء الأوروبيون خطة طويلة المدى ، منذ منتصف الثمانينات ، لإرسال عدد من المرايا العاكسة إلى الفضاء ، بحيث يمكنها أن تعكس ضوء الشمس على الأرض خلال الليل ، لتوفير الحرارة والإضاءة اللازمتين ؛ توفيرًا للطاقة الصناعية .

شعاع الليزر ، الذى سنطلقه من هنا ، ثم يعكسه بعضها إلى البعض ، قبل أن ترسله إلى المكوك مباشرة ، من زاوية جديدة فى الفضاء .

برقت عينا القائد الأعلى ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) :

- نعم .. الفكرة معقولة ومنطقية ، وممكنة التنفيذ أيضًا ، والأهم من هذا أن (نور) ورفاقه يمكنهم استخدام شعاع الليزر نفسه ، عن طريق استقباله ، بوساطة العاكس الضوئى لديهم ، وبث رسائلهم ومعلوماتهم عبره ..

هتف القائد الأعلى فى حماس :

- عظيم .. رائع .. هذا يعنى أنه سيمكننا الحصول على المعلومات المنشودة ، حول تلك الفجوة ، وسيصبح لدينا بعض الوقت للبحث عن وسيلة لتفادى خطرها !

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- بالتأكيد .. سيصبح لدينا الأمل على الأقل .

تنهّد القائد الأعلى فى ارتياح شديد ، وهو يتمتم :

- رائع .. رائع .

ثم سأل فى لهفة :

- ومتى يمكنكم إنجاز هذا ؟!

أجابه فى حماس :

- لقد بدأ الأوروبيون عملية التعديل بالفعل ، وسيمكننا إطلاق شعاع الليزر بعد اربعين دقيقة على الأكثر .

هتف القائد الأعلى :

- عظيم .. فى هذه الحالة ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- اربعون دقيقة ؟! .. ولكن هذا يعنى انه لن يتبقى لـ (نور) ورفاقه سوى عشرين دقيقة ، قبل ان تجذبهم تلك الفجوة السوداء إليها .

بدا الأسى على وجه (الدكتور ناظم) ، وهو يقول :

- هذا صحيح للأسف ، ولكن ماذا بيدنا لنفعله ؟! .. إننا لا نستطيع إنقاذ الجميع ..

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! .. (نور) .

خفض الدكتور (ناظم) عينيه ، وهو يربت على كتفه ، مغمغمًا :

- اعلم انه من المؤلم ان نضطر لاتخاذ مثل هذا

القرار ، ولكن ماذا بيدنا لنفعله ؟! .. إننا لسنا مسئولين عن حياة (نور) ورفاقه وحدهم .. إننا مسئولون عن حياة ومصير كوكب الأرض باكمله .

وتنهد فى عمق ، قبل ان يضيف :

- ثم إننا لانملك مانفعله من اجل (نور) فى الحالتين .. لقد مضى الوقت باسرع مما كنا نتوقع ، ولم يعد لديه أو لدى رفاقه ادنى امل فى النجاة .

واعتصر الألم قلب القائد الأعلى ، وهو يسمع هذه العبارة ..

ولكنه ، وعلى الرغم من مرارته ، اعترف لنفسه بان الدكتور (ناظم) على حق ..

لقد مضى الوقت باسرع مما توقع الجميع ..

وفقد (نور) ورفاقه الأمل فى النجاة ..

كل الأمل ..

* * *

« يا إلهى ! .. »

خفق قلب (نور) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يطلق هذا الهتاف ، محدقًا فى النافذة الزجاجية السميكة لحجرة معادلة الضغط ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية مستنكرة :

- رباه ! .. ماذا تفعل هذه المجنونة ؟!

فداخل حجرة معادلة الضغط ، التى بدات عملها بالفعل ، كانت تقف (نادية) .. وبدون زى فضائى ..

وبقفزة واحدة ، بلغ (نور) الحجرة ، وضغط زر الاتصال بها ، وهو يصرخ :

هل جننت ؟! .. سيتمزّق جسدك إربًا ، إذا ما تعادل الضغط مع مثيله على القمر ، دون أن ترتدى زيًا فضائيًا .

تطلّعت إليه (نادية) من خلف النافذة بعينين محمرتين من فرط البكاء ، دون أن تعلّق على عبارته ، فقال فى صرامة :

- ساوقف عمل الحجرة .. لن اسمح لك بالانتحار بهذه الوسيلة البشعة .

الصقت كفيها بالزجاج ، وهى تصرخ :

- لا .. إياك أن تفعل .. إنك لاتفهم شيئًا .. لا تفهم شيئًا .

تجاهل قولها هذا ، واستدار ليضغط زر إيقاف عمل الحجرة ، و ..

واتسعت عيناه فى ذهول وهو يحدّق فى المؤشرات امامه ..

وكان الأمر يستحق هذا الذهول بالفعل ..

فعلى الرغم من الحالة الصحية الطبيعية ، التى

تتمتّع بها الفتاة ، داخل حجرة معادلة الضغط ، إلا أن المؤشرات كلها كانت تشير إلى أن الحجرة قد بلغت نهاية عملها ، أو كادت ..

وأن الضغط والحرارة والهواء قد اقتربا من الصفر !!

ولثانية أو يزيد ، تجمّد (نور) فى مكانه ، وهو يحدّق فى المؤشرات ، و (نادية) تصرخ :

- اتركنى أذهب إليه .. لقد فعلت كل مافعلت من أجله .. اتركنى بالله عليك .

وفى اللحظة التالية ، اندفع (أوتو) إلى المكان ، هاتفًا :

- ماذا حدث بالضبط ؟

انتزع هتافه (نور) من جموده ، فأسرع يضغط الزر فى حزم ، فتوقف عمل الحجرة بغتة ، وصرخت (نادية) :

- لا .. لا ..

ثم انهارت فى ركن الحجرة ، وأجهشت ببكاء حار ، والحجرة تبدأ عملها عكسيًا ، وتستعيد معدّلاتها الطبيعية ..

وفى دهشة بالغة ، تمتم (أكرم) :

- كيف أمكنها أن تفعل هذا ؟

تنهّد (نور) وهو يجيب :

- كنت اعلم انه هناك سرّ ما ، وراء كل هذا .

اما (واتسن) و (خالد) و (اوتو) ، فقد اطلّ من عيونهم مزيج من الدهشة والحيرة ، وهم يتابعون عمل الحجرة ، قبل ان يتمتم (خالد) :

- رباه ! .. هذه الفتاة ليست بشرية بالتاكيد .

انعقد حاجبا (ناتاشا) ، وهى تستند إلى الباب ، ممسكة الضمادة التى تحيط بكتفها ، ومحدّقة فى باب حجرة معادلة الضغط ، حتى استعادت معدلاتها الطبيعية ، وانفتح بابها فى بطء ، فاندفع (نور) داخلها ، ومدّ يده إلى (نادية) ، قائلة :

- حمدًا لله على سلامتك .

بكت فى مرارة ، قائلة :

- لماذا لم تتركنى اذهب إليه ؟!

هزّ راسه فى بطء ، وتنهّد فى عمق ، وهو يقول :

- (عماد) ذهب يا (نادية) .. ذهب ولن يعود .. الجميع ذهبوا إلى حيث الحياة الفضلى .

غمغم (اكرم) :

- او الأسوا .. هذا يتوقّف على عملهم فى الدنيا .

اشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يواصل حديثه معها ، قائلاً :

- (عماد) مدفون الآن فى تربة القمر ، مع باقى الضحايا ، وذهابك إليه لن يفيد أيكما .. لقد اصبحتما تنتميان إلى عالمين مختلفين .

بكت فى مرارة لعبارته ، فانحنى يعاونها على النهوض ، وهو يستطرد :

- هيا يا (نادية) .. اعتقد ان لديك ماترويه لنا .

نهضت مستسلمة ، وقادها فى رفق إلى حجرة القيادة ، وتبعهما الآخرون فى صمت ، حتى استقر بهم المقام هناك ، وانخرطت (نادية) فى البكاء لدقائق اخرى ، قبل ان يسالها (نور) :

- هل ستخبريننا بتفسير ماحدث ؟!

هتف (اوتو) فى توتر :

- وما الذى يمكن ان تخبرنا به ؟ .. هذه الفتاة ليست من بنى البشر .. ليست كذلك ابدًا !

رفعت (نادية) عينيها إليه ، وقالت فى شىء من الحدة :

- اى قول سخيف هذا .. انا بشرية مثلكم بالطبع .

هتف (خالد) هذه المرة :

- مستحيل ! .. لقد رايناك جميعًا داخل حجرة معادلة الضغط ، بدون زىّ فضائى ، والبشرىّ العادى لايمكنه ان يحتمل هذا .

واندفع (واتسن) يضيف :

- وماذا عن رفيقك (عماد) ؟! .. هل كان بشريًا ايضًا ؟! .. هل احترق على هذا النحو لأنه بشرىٌ عادى ؟

بدت المرارة فى ملامحها وصوتها ، وهى تقول :

- قلت : إننا بشر ، ولكننى لم اقل : إننا عاديون .

انعقد حاجبا (ناتاشا) اكثر ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، فى حين قال (اوتو) فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا ؟! .. هه .. ما الذى يعنيه هذا ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

- اصمت يا رجل .. امنح تلك المسكينة فرصة للحديث .

قال (واتسن) فى سخرية عصبية :

- المسكينة ؟!

صاح به (نور) فى غضب :

- قلت : اصمت .. اصمتوا جميعًا .

ثم التفت إلى (نادية) ، قائلاً فى رفق :

- حسنٌ يا (نادية) .. كلنا اذان مرهفة .

التقطت (نادية) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لاسترداد سيطرتها على اعصابها ، قبل ان تخفض عينيها ، قائلة :

- (عماد) هو الذى وافق على الفكرة اولاً ، وهو الذى اقنعنى بها .. لقد وافقت من اجله .. من اجل ان اصبح مثله ، وان نتميّز عن الآخرين كما قال .

قال (اوتو) فى عصبية :

- ما حديث الالغاز هذا ؟ .. عن اية فكرة تتحدّث ؟

رمقه (نور) بنظرة صارمة اخرسته ، قبل ان يلتفت إلى (نادية) قائلاً :

- وماذا حدث بالضبط ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، ثم تابعت :

- كان مشروعًا عسكريًا ، على درجة عالية من السرية ، فقد زرعوا فى مخ كل منا جهاز كمبيوتر حيويًا خاصًا ، تم توصيله بالمراكز الرئيسية للمخ ، بحيث تعمل على نحو مختلف ، وتمتلك قدرة إضافية على تحمّل اصعب واشق العوامل ، من انخفاض درجات الحرارة ، ونقص الاكسجين ، او الضغط الجوى .. لست اعلم شيئًا عن التفاصيل الفنية بالطبع ، ولكن كل منا خضع لتدخّل جراحى استغرق سبع ساعات كاملة ، وبعدها كان هناك برنامج تاهيلى لعام او اربعة عشر شهرًا بالتحديد .. كانوا يضعوننا فى مناخ صناعى ، فى درجات برودة شديدة ، وبلا اكسجين تقريبًا ، وفى ضغط جوى بالغ

الانخفاض .. ولقد اخبرنا احد العلماء الذين اشرفوا على التجربة ، ان الغرض منها هو إيجاد جيل جديد من المقاتلين الفضائيين ، يمكنهم العيش على سطح الكواكب الأخرى ، دون ازياء فضائية او معدّات إضافية .. وكخطوة اخيرة ، للتأكُّد من نجاح التجربة ثم إرسالنا إلى قاعدة القمر ، لاستكمال الاختبارات ، وتحديد اوجه القصور او القوة .

وانحدرت الدموع الساخنة من عينيها لتغرق وجهها ، وهى تكمل :

- ولقد قضينا هنا اسعد ايامنا .. كنا نؤدى الاختبارات اللازمة داخل قاعة سرية ، فى قاع القاعدة ، او على سطح القمر ، بازياء فضائية بسيطة للغاية، كخطوة وسيطة ، قبل ان يُسمح لنا بالتجوال دون اية ازياء .. وكان من الواضح ان التجربة ناجحة إلى حد كبير ، حتى ..

اهتزَّ جسدها ، وارتجفت شفتاها ، عندما بلغت هذه النقطة ، ثم اكملت فى صوت خافت للغاية :

- حتى وقعت الكارثة .

نطقتها ، واجهشت مرة اخرى ببكاء حار ، لم يتردَّد سواه داخل المكان ، عندما لاذ الجميع بالصمت ، وهو يتطلعون إليها فى دهشة ، حتى

استعادت سيطرتها على نفسها ، وتابعت :

وكنا عندئذ فى قاعة الاختبارات فى القاع ، وادركنا من الاهتزازات العنيفة ان كارثة رهيبة قد حاقت بالمكان ، فاسرعنا نصعد إلى القاعدة ، لمعرفة ما حدث ، وصدمنا ما وقع بصرنا عليه .

ولوَّحت بذراعيها فى شدة ، مستطردة فى انفعال :

- خراب ودمار وجثث ودماء فى كل مكان .. الكارثة دمَّرت كل شىء .. كل مخلوق .. كانت ابشع كارثة يمكننا تصوّرها .

ثم بكت فى حرارة ، مكملة :

- واصيب (عماد) بصدمة عنيفة ، وانهار تمامًا ، فى حين تماسكت انا ، وقد بلغ خوفى عليه مافاق صدمتى لما حدث ، وحاولت تهدئته ، لأن العلماء اخبرونا ان الانفعال الزائد قد يؤدى إلى خلل فى المراكز الحيوية للمخ ، فى وجود اجهزة الكمبيوتر المزروعة داخلها .

وتنهَّدت فى عمق ، وهى تخفض عينيها ، قائلة فى خفوت يموج بالألم والمرارة :

- وحدث ما خشوه وخشيته .. واصيب مخ (عماد) بالتلف الذى ظلّ يتصاعد ، حتى نسف اجهزة الكمبيوتر المزروعة ، واشعل النيران فى جسده كله امام عينى .. امام عينى انا .

وانهارت مرة أخرى ، وراحت تبكى فى انفعال شديد ، والجميع يتطلعون إليها فى صمت ، ثم لم تلبث (ناتاشا) أن اتجهت إليها ، وانحنت تربت عليها فى حنان ، متمتمة :

- وا صغيرتى المسكينة ! .. أنا افهم ماتعانينه .. أنا ايضًا فقدت خطيبى ذات يوم .

ورفعت عينيها إلى (نور) مستطردة :

- ساعود بها إلى حجرتى .. إنها تحتاج إلى النوم والصحبة .

تمتم (نور) :

- لا باس .

عاونتها (ناتاشا) على النهوض ، وغادرت معها المكان ، وتابعها الجميع بابصارهم بضع لحظات ، قبل ان يقول (اكرم) :

- هل تصدّق روايتها يا (نور) ؟

اوما (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- إنها تبدو منطقية إلى حد كبير ، ثم إننى قرأت شيئًا حول مشروع المقاتلين الفضائيين هذا من قبل ، وإن لم اتصوّر انه وُضعَ موضع التنفيذ بالفعل .

قال (اكرم) فى عصبية :

- وهل من المؤكّد ان يؤدى انفجار اجهزة كمبيوتر

صغيرة ، مزروعة فى مخ شخص ما ، إلى احتراقه على هذا النحو ، الذى رأيناه جميعًا ؟ !

عقد (نور) حاجبيه بضع لحظات ، قبل ان يقول :

- الفتاة اكّدت انها تجهل التفاصيل الفنية للمشروع ، ومن الواضح انه هناك الكثير مما لايمكننا تفسيره بالقواعد العلمية الطبيعية المعروفة .

مطّ (اوتو) شفتيه بعدم (اقتناع) وانفرجت شفتاه لينطق شيئًا ما ، ولكن فجأة تردّدت ذبذبة عجيبة فى الحجرة ، فالتقى حاجبا (نور) فى شدة ، واستدار نحو جهاز صغير، وهو يقول :

- رباه ! .. أمن الممكن أن ..

ودون ان يتمّ عبارته ، اندفع نحو الجهاز ، وضغط احد ازراره ، فارتفع منه صوت الى ، يقول :

- من القاعدة الأرضية إلى مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) .. تحذير .. مركز الانفجار تحوّل إلى فجوة سوداء ، تبتلع كل ماحولها .. نريد كل مالديكم من معلومات عن الكارثة .. نكرّر .. نريد كل مالديكم من معلومات للأهمية البالغة .

اتسعت عينا (نور) فى شدة ، وحدّق فى وجه (اكرم) ، قائلاً :

- يا إلهى ! .. إنه لم يكن مجرّد حلم !

ساله (أكرم) فى حيرة :

- ما هذا الذى تتحدث عنه ؟!

ارتجف صوت (نور) ، وهو يجيب :

- (محمود) .. اتصال (محمود) بى يا (أكرم) .. إنه لم يكن مجرد حلم .. لم يكن كذلك على الإطلاق ..

وانتقل اتساع عينيه إلى عينى (أكرم) ..

وخفق قلباهما معًا ..

خفقا فى قوة ..

وفى ارتياع ..

* * *

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يقرأ الرسالة الليزرية ، التى وردت فى الاتصال الأخير لمكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، وهتف فى هلع :

- رباه ! .. لا توجد أية معلومات ؟! .. كرة المعلومات اختفت !! ..

الجاسوس قتل نصف الحملة .. إنها كارثة .

هزّ الدكتور (ناظم) راسه ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قائلاً :

- لم يعد هناك أمل فى الحصول على المعلومات ، أو فى إنقاذ الأرض من مصيرها المحتوم .

تطلّع إليه القائد الأعلى بعينين زائغتين ، قبل أن يقول :

- و (نور) المسكين يطمئننا إلى أنه سيبدأ عملية الرصد ، وسيرسل إلينا كل مايتوصّل إليه من معلومات أولاً فأولاً ، دون أن يدرى أنه لم يعد أمامه وأمام المكوك سوى دقائق معدودة ، ثم تبتلعهم تلك الفجوة السوداء اللعينة .

هزّ الدكتور (ناظم) راسه ثانية ، وهو يتمتم :

- لم تعد هناك فائدة .. لم تعد هناك فائدة :

جلس القائد الأعلى خلف مكتبه ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباه ، وتطلّ من عينيه نظرة صارمة حازمة ، ويقول

- ليس من حقنا أن نستسلم لليأس .

رفع الدكتور (ناظم) عينيه إليه فى دهشة ، فاستطرد بحزم أكثر :

- مادام العالم كله يعتمد علينا ، فليس من حقنا أن نيئس ، قبل أن تحين لحظة اللاعودة ..

ونهض فى حسم ، مضيفًا :

- سنواصل البحث والتفكير ، مادامت أمامنا ست ساعات أخرى .. سندرس الموقف كله ثانية ، ونبحث عن وسائل لتفادى الكارثة .

ودقّ بقبضته على سطح مكتبه ، قائلاً :

- سنعمل حتى الدقيقة الستين من الساعة

السادسة المتبقية ، قبل ان تحين نهاية الأرض .. وبلا توقّف .. هل فهمت يادكتور (ناظم) ؟ سنعمل بلا توقّف .

هبَّ الدكتور (ناظم) واقفًا بدوره ، وهو يقول :

– نعم أيها القائد .. سنعمل حتى آخر رمق .

ثم سأل فى تردُّد :

– ولكن ماذا عن (نور) ورفاقه ؟

انعقد حاجبا القائد الأعلى بشدة ، والقى نظرة على ساعته ، ثم غمغم :

– لهم الله (سبحانه وتعالى) .

قالها ، وران على حجرته صمت رهيب ..

صمت جعلها اشبه بقبور الموتى ..

أو من فى طريقهم إلى الموت ..

* * *

« هل تعتقد ان بيدنا ان نفعل شيئًا يا (نور) ؟! »

القى (أكرم) السؤال فى قلق ، فتطلّع إليه (نور) لحظات فى صمت ، ثم قال فى خفوت :

– ما الذى تقترحه ؟!

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

– ليس لدى حتى ما اقترحه .. (واتسن) و (خالد) يعدان الراصد ، و (اوتو) يفحص أجهزة الاتصال ، فى محاولة لإيجاد وسيلة لإصلاح شىء منها ،

و (ناتاشا) تقوم برعاية (نادية) ، وانا وانت نجلس هنا ، وليس لدينا ما نفعله إلا التفكير ، بحثًا عن مخرج من هذه الأزمة .

ساله (نور) فى مرارة :

– هل تعتقد ان التفكير لايساوى شيئًا ؟ .

هزَّ (أكرم) راسه فى قوة ، قائلاً :

– على العكس .. إننى اعتبره المحرك الأساسى لكل الأفعال ، فمن السهل أن تجد من يجيد التنفيذ ، ولكن من العسير أن تعثر على عقل يجيد التفكير .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

– تطوّر رائع يا (أكرم) .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

– يبدو أن الاقتراب كثيرًا منك يصيب المرء بالعدوى .

ثم جلس إلى جواره ، يساله :

– والآن قل لى : هل تعتقد انه لدينا امل فى النجاة من هذا المازق ؟!

تنهَّد (نور) ، قبل ان يجيب :

– الأمل الوحيد هو أن نستعيد كرة المعلومات ، ونبلغ الأرض بما تحويه .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

- وهذا يستلزم بالطبع كشف أمر الجاسوس .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول :

- بالتأكيد .. ولكن عزاءنا الوحيد هو أن الشبهات قد انحصرت فى عدد قليل الآن ، بعد مصرع الباقين .

قال (أكرم) فى ضيق :

- ولكن لا يوجد دليل واحد ، يمكن أن يقودنا إلى معرفته .. حتى المنظار الخاص بالرؤية فى الظلام ، الذى انتزعته (ناتاشا) من وجه القاتل ، لايحوى أية بصمات أو علامات مميِّزة ، يمكن أن ترشدنا إلى هويته .

وزفر فى حرارة ، مستطردًا :

- يا للسخافة ! .. نحن نواجه أكثر مواقف حياتنا صعوبة وخطورة ، وعلى الرغم من هذا فنحن نتخبَّط فى الغموض والظلام كالعميان .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

- أنت على حق .. إننا ..

ثم بتر عبارته بغتة ، واعتدل فى حركة حادة ، هاتفًا :

- يا إلهى ! .

هبَّ (أكرم) من مكانه بدوره ، وهو يقول فى دهشة :

- ماذا حدث ؟

أمسك (نور) كتفيه فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

- لقد ساعدتنى كثيرًا ياصديقى .. ساعدتنى فى التوصُّل إلى حل اللغز .. لقد عرفت من القاتل !

هتف به (أكرم) فى لهفة :

- من يا (نور) ؟! .. من هو ؟!

استلَّ (نور) مسدسه الليزرى ، وانطلق يعدو خارج حجرة القيادة ، وهو يهتف :

- بل قل من هى يارجل ؟! .. إنها (ناتاشا) .. الجاسوس هو (ناتاشا) .

وكانت مفاجأة لـ (أكرم) ..

- مفاجأة مذهلة .

* * *

١٠ - الجاسوس ..

سالت (نادية) (ناتاشا) فى حيرة ، وهى تهبط معها إلى قاع المكوك :

- أانت واثقة من أن القائد بنفسه ، هو الذى طلب منك اصطحابى إلى حيث مركبة الفضاء الصغيرة ؟!

اجابتها (ناتاشا) فى هدوء :

- بالطبع ياعزيزتى (نادية) .. بالطبع .

سالتها (نادية) فى حيرة اكثر :

- لماذا ترتدين الزىّ الفضائى إذن ؟!

ابتسمت (ناتاشا) ، قائلة :

- إنه اختبار ياعزيزتى .. مجرد اختبار بسيط .

هتفت (نادية) فى دهشة وغضب :

- اختبار ؟! هل تنوون اختبارى هنا ؟ .. ليس لكم الحق فى هذا .. لا احد يمتلك الحق فى اختبارى الآن .. السلطات العكسرية وحدها لها هذا الحق ، وانا ارفض اية تجارب او اختبارات إضافية .. سانسحب من كل هذا ، بعد موت (عماد) .

جذبتها (ناتاشا) فى شىء من القسوة ، وهى تقول :

- إنه ليس اختبارًا بالمعنى المعروف ياعزيزتى .. وإنما مجرّد وسيلة للتيقُّن من صحة روايتك ، ومن

انك تستطيعين بالفعل العيش على كواكب أخرى ، دون ازياء فضائية ، او معدات إضافية.

حاولت (نادية) ان تجذب يدها منها ، وهى تقول فى توتر :

- روايتى صحيحة ، ولايعنينى ان يصدّقها احد .

- قبضت (ناتاشا) على يدها بقوة أكبر ، قائلة :

- بالطبع ياعزيزتى بالطبع .

توترت (نادية) بشدة ، وقالت فى عصبية :

- هناك شىء غير طبيعى فيما يحدث .. شىء لايبعث فى نفسى الارتياح .. إنك ترتدين زيًا فضائيًا ، وعلى الرغم من هذا تتجهين إلى مركبة الفضاء الصغيرة ، وليس إلى حجرة معادلة الضغط .

أجابتها (ناتاشا) فى صرامة :

- إننى لم ارتد خوذتى بعد .. هل لاحظت هذا ؟

نطقتها وهى تجذبها فى عنف إلى القاعة الصغيرة ، التى تستقر فى منتصفها المركبة الفضائية الصغيرة ، فهتفت (نادية) ، وهى تقاوم فى شدة :

- هذا لايروق لى .. لا يروق لى ابدًا .. أريد التحدث إلى القائد .. إلى المقدّم (نور) شخصيًا .

ثم صرخت :

- هل تحاولون التخلُّص منى ؟!

أجابتها (ناتاشا) فى سخرية ، وهى تدفعها نحو المركبة الصغيرة :

- التخلُّص منك ؟! .. وهل جئنا لنفعل هذا ياصغيرتى ؟! .. إنك عينة فريدة من نوعك .. مقاتلة نادرة الوجود .. انت البشرية الوحيدة الباقية على قيد الحياة ، التى يمكنها العيش على الكواكب الأخرى دون مشكلات بيئية .. انت تجربة لاتتردّد اية دولة فى دفع المليارات والمليارات للحصول عليها .

شهقت (نادية) فى رعب هائل ، وصرخت :

- هل تنوين اختطافى ؟!

اجابتها (ناتاشا) فى سرعة :

- بل أنوى حملك إلى وطنى ، شئت أم ابيت ، ليعكف علماء بلادى على دراستك ، وكشف ذلك التطوّر المدهش فى تغيير الطبيعة البشرية ، والذى سبق به المصريون عصرهم ، وتفوقوا فيه على كل من عداهم .. صدقينى ياصغيرتى .. المصريون لايستحقون مثل هذا التفوّق .. إنهم لايجيدون الحصول على القوة أو استخدامها .. نحن وحدنا نجيد هذا .. نحن كنا فيما مضى قوة عظمى ، يرتجف لها العالم .

قاومتها (نادية) فى شراسة ، صارخة :

- اتركينى أيتها اللعينة ! .. اتركينى .

صاحت بها (ناتاشا) فى صرامة مخيفة ، كشفت ذلك الجانب الوحشى من شخصيتها :

- سترحلين معى يا (نادية) .. حية أو ميتة .. هل فهمت ؟! .. إما أن تعودى معى إلى الأرض بإرادتك ، أو أحمل جثتك إليها .

اتسعت عينا (نادية) فى رعب ، وتوقّفت لحظة عن المقاومة ، ثم اجهشت بالبكاء ، هاتفة :

- لن يمكنك الإفلات بهذا قط .. ما إن تستعد المركبة الصغيرة للإقلاع ، حتى يعلم الجميع هذا ، عن طريق أجهزة الملاحة ، وسيبذلون قصارى جهدهم لمنعك من الفرار .

أطلقت (ناتاشا) ضحكة ساخرة عالية ، وهى تقول :

- منعى ؟! .. وهل تصوّرت أننى ساترك أحياء خلفى ، عندما أغادر هذا المكوك اللعين ؟! خطأ ياصغيرتى .. خطأ .. لقد أعددت خطة مدهشة للخروج من هنا ، بعد تدمير الجميع .. خطة كنت أنت مصدر الوحى لها .

قالت (نادية) فى دهشة وارتياع :

قاومتها (نادية) فى شراسة ، صارخة :

- اتركينى أيتها اللعينة ! .. اتركينى ..

- أنا ؟!

هتفت (ناتاشا) :

- بالطبع ياصغيرتى .. لقد برزت الفكرة فى رأسى ، عندما حاولت أنت الخروج من المكوك .. وقتها قال ذلك العربى (خالد) إن أى خلل قد يؤدى إلى انخفاض مباغت فى الضغط والهواء والحرارة ، فيلقى الجميع مصرعهم على الفور .. ولقد وضعت خطتى ليحدث هذا فعليًا ، عندما نستعد للإقلاع .

سألتها (نادية) بانفاس مبهورة :

- كيف ؟!

رفعت (ناتاشا) مسدسها الليزرى ، واطلقت اشعته نحو زاوية باب القاعة ، مجيبة بلهجة ساخرة :

- هكذا .

اصابت الأشعة زاوية الباب ، ونسفت خلية الإغلاق الآلى ، فاستطردت (ناتاشا) فى شماتة :

- والآن عندما تُفتح ابواب الإقلاع ، لن يغلق باب القاعة اليًا ، كما يحدث فى المعتاد ، ولن يتم عزل القاعة عن باقى المكوك لتامينه ، لذا فسيحدث انخفاض حاد ومباغت فى الضغط والحرارة والاكسجين ، فى نفس اللحظة التى سيتم فيها إعلان

الاستعداد للإقلاع .. ولأن أحدًا داخل المكوك لم يستعد لمواجهة هذا ، فسيفاجئهم هذا الانخفاض ، ولايعود بوسعهم إنقاذ أنفسهم.

وانطلقت منها ضحكة وحشية ساخرة ، قبل أن تستطرد :

- وسننطلق نحن عائدتين إلى الأرض ، تاركين القمر خلفنا ، وليس على سطحه أى أثر للحياة .

ودفعت (نادية) نحو المركبة ، مضيفة فى تشفٍ :

- فلن ينجو من هذه الكارثة الجديدة سوى من يرتدى زيًا فضائيًا مثلى ، أو يمتلك قدرات نادرة مثلك .

بكت (نادية) فى حرارة ، وهى تغمغم :

- وماذا سيفعلون بى فى بلدك ؟! هل سينتزعون مخى ، لفحص أجهزة الكمبيوتر داخله ؟!

الصقت (ناتاشا) فوهة مسدسها الليزرى برأسها ، قائلة فى صرامة :

- سنعرف عندما نصل إلى هناك .. هيا .. ضعى نفسك داخل المركبة الفضائية .. هيا .

انهمرت دموع (نادية) فى غزارة ، وهى تجلس داخل المركبة الفضائية الصغيرة ، فى حين تلفتت (ناتاشا) حولها ، وكأنها تلقى نظرة أخيرة على

المكوك ، قبل أن تبتسم فى مزيج من السخرية والظفر والشماتة ، قائلاً :

- وداعًا أيها الأغبياء .. عندما تصلون إلى الجحيم ، أبلغوا تحياتى لباقى الأغبياء هناك ..

قالتها ، وانطلقت منها ضحكة عالية ، تردَّد صداها فى القاعة ..

ضحكة ظافرة ، شامتة ..

ووحشية ..

* * *

استقبل مدير المرصد الجديد الدكتور (ناظم) فى اهتمام ، وصافحه فى قوة ، وهو يقول منفعلاً :

- يبدو أن اللحظة قد حانت يادكتور (ناظم) .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسير إلى جواره فى خطوات واسعة ، وقال فى قلق :

- هل بدا هذا واضحًا ؟

دلفا معًا إلى حجرة الرصد والمتابعة ، وفرد المدير عددًا من الصور على سطح مكتبه قائلاً :

- انظر .. هذه هى آخر مجموعة من الصور ، تم التقاطها منذ عشرين دقيقة فحسب .. لاحظ تلك القطع الصغيرة من الصخور .. إنها ترتفع عن سطح القمر ، وتتجه نحو مركز الفجوة .

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردًا :

- وهذه هى البداية .

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسأل فى صوت متحشرج :

- ومتى .. متى تزداد قوة الجذب ؟!

تنهَّد الرجل مجيبًا :

- هذا يحدث بسرعة كبيرة للأسف .. ففى اللحظة التى نناقش فيها هذا الأمر الآن ، أعتقد أن قوة الجذب أصبحت كافية ، لالتقاط بعض الصخور الكبيرة ، أو جثث الضحايا المتناثرة على سطح القمر .

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه ثانية ، وقال :

- ثم ؟!

أومأ الرجل برأسه ، متفهمًا الأمر ، وتطلَّع إليه مباشرة ، قائلاً :

- أتقصد بالنسبة للمكوك ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى شحوب :

- نعم .. كم تبقى أمامه ، قبل أن .. أن ..

فهم الرجل مايعنيه ، وخفض عينيه مجيبًا :

- مابين تسع ، وإحدى عشرة دقيقة بالتحديد .

تراجع الدكتور (ناظم) كالمصعوق ، وعضَّ شفتيه فى مرارة ، مردِّدًا :

- مابين تسع ، وإحدى عشرة دقيقة ؟! يا إلهى !

ثم نهض من مقعده ، وتطلع إلى التليسكوب الضخم بضع لحظات ، قبل أن يسأل :

- أأنت واثق من أنه ليس باستطاعتنا رؤيتهم من هنا ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وأجاب :

- المشكلة أنهم هبطوا فى منطقة يصعب رصدها من هنا ، حتى يمكنهم رصد الظاهرة جيدًا .

ثم سأله فى اهتمام :

- هل أرسلتم إليهم التحذير ؟

بدا الأسى على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- لم تكن هناك ضرورة أو فائدة لهذا .

تراجع الرجل فى ارتياع ، هاتفًا :

- يا إلهى ! .. وكيف ؟!

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

- ماذا يفيدهم لو عرفوا أن مصيرهم مظلم إلى هذا الحد ، وأنه ليست أمامهم وسيلة واحدة للفرار ؟!

قال الرجل مستنكرًا :

- هذا من وجهة نظركم فحسب ، ولكن ربما وجدوا هم وسيلة للنجاة ، لو أنهم علموا ماينتظرهم .. من يدرى ؟!

ارتجف قلب الدكتور (ناظم) بين ضلوعه للاحتمال ، وقال فى خفوت ، وكانه يتشبث باى امل :

- ولكنهم لايمتلكون وسيلة للخروج من القمر .. لا أجهزة اتصالات أو محركات ، أو .

قاطعه الرجل مستهجنًا :

- وماذا لو انهم عثروا على شىء من هذا بين اطلال قاعدة القمر ؟! مرة اخرى .

اعتصرت الكلمات قلب الدكتور (ناظم) وتطلّع إلى السماء فى ارتياع وهو يتمتم :

- رباه ! .. هل تعنى انه كان من المحتمل أن ..

قبل أن يتم عبارته ، ظهر أحد علماء المرصد ، وهو يحمل مجموعة جديدة من الصور ، قائلاً للمدير :

- يبدو أن المرحلة التالية قد بدأت ياسيّدى .

انعقد حاجبا المدير ، فى حين اختطف الدكتور (كاظم) مجموعة الصور ، وراح يطالعها فى لهفة متوترة ، قبل أن تتسع عيناه فى ارتياع ، ويقول :

- رباه ! .. بدأت مرحلة جذب الصخور الكبيرة بالفعل .

هزّ مدير المرصد راسه ، ومطّ شفتيه فى اسف واسى ، وهو يغمغم :

- يا للمساكين !!

وكانت الكلمة تكفى هذه المرة ، ليتمزّق قلب الدكتور (ناظم) ..

وبعنف ..

* * *

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، وهى تحدّق فى وجه (سلوى) التى تقف امام بابها مرتجفة ، فى الواحدة صباحًا ، وغمغمت :

- (سلوى) ؟! .. ماذا حدث ؟! .. لماذا اتيت لزيارتى ، فى هذه الساعة ؟

بدا صوت (سلوى) مرتجفًا كجسدها ، وهى تقول :

- هل يمكننى الدخول ؟

انتبهت (مشيرة) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أنها تسدّ الباب بجسدها ، فاسرعت تفسح لها الطريق ، قائلة :

- بالطبع .. تفضّلى يا (سلوى) .. تفضّلى .

دلفت (سلوى) إلى المنزل ، والقت جسدها فوق اقرب مقعد صادفها ، وهى تسال :

- هل وصلتك اخبار من (أكرم) ؟

تضاعفت دهشة (مشيرة) ، وربّتت على كتفها ، قائلة :

- كلاً بالطبع .. لو وصلت اية اخبار من (القاهرة - ٢٠٠٠) ، كنت اول من يعلم بالتاكيد ، فزوجك هو قائد الحملة القمرية .

هزّت (سلوى) راسها نفيًا فى قوة ، وقالت :

- لم تصلنى اية اخبار ، واشعر بقلق شديد .. شديد للغاية .

تطلعت إليها (مشيرة) فى حيرة ، وقد انتقلت إليها عدوى القلق ، ثم جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جوارها ، تسالها :

- (سلوى) .. ماذا هناك بالضبط ؟!

ترقرقت عينا (سلوى) بالدمع ، وهى تقول :

- لست ادرى يا (مشيرة) .. ليست لدى اية انباء من اى نوع ، وعندما اتصلت بالقيادة للاطمئنان ، اخبرونى ان كل شىء على مايرام ، ولكن .. ولكنه ..

وصمتت لحظة ، لتزدرد لعابها فى صعوبة ، ثم قالت بصوت مرتجف :

- ولكنه ذلك الحلم ..

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، وهى تقول :

- حلم ؟!

اومات (سلوى) براسها إيجابًا ، فى شىء من العصبية ، وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تقول فى انفعال :

- نعم يا (مشيرة) .. حلم .. حلم رايت فيه (نور) و (اكرم) يسقطان فى فجوة عميقة مظلمة ، مالها من قرار ، وعندما صرخت ، وحاولت الاستغاثة او الاستنجاد باى شخص ، ظهر (محمود) فجاة وطلب منى الا اقلق ، ووعدنى بانه لن يتخلّى عنهما قط ، ثم غاص خلفهما فى اعماق الفجوة ، واختفى ثلاثتهم تمامًا ، فرحت اصرخ ، واصرخ ، واصرخ ، حتى استيقظت من النوم .

حدقت (مشيرة) فى وجهها بارتياع ، واتسعت عيناها فى هلع ، وهمّت بقول شىء ما ، إلا انها لم تلبث ان تماسكت ، وقالت :

- (سلوى) .. إنه مجرّد حلم .

هتفت (سلوى) فى حدة :

- كلا .. إنه ليس كذلك !

ثم عاد صوتها يرتجف ، مع استطرادتها :

- انت تعلمين انه ليس كذلك .

اتسعت عينا (مشيرة) مرة اخرى ، وعادت شفتاها تنفرجان ، وعادت كلمات مترددة تطرق بابهما ، إلا انها لم تلبث ان قهرتها كالمرة السابقة ، وغمغمت :

- اعلم ؟!

اجابتها (سلوى) فى انفعال :

- نعم .. انت ايضًا ترين (محمود) فى احلامك .. وكذلك (اكرم) و (رمزى) وحتى (نشوى) .. كلنا اصبحنا نراه كثيرًا فى احلامنا .. نراه ، ونتحدث إليه .. بل ويحذرنا احيانًا من مخاطر قادمة .. صدقينى يا (مشيرة) .. إنه ليس حلمًا ابدًا .. هناك شىء مايحدث .. شىء يهدد (نور) و (اكرم) بالخطر ، و (محمود) يعرف هذا (الشىء) ، ويحاول تحذيرنا منه .

جاء دور (مشيرة) لترتجف الكلمات على شفتيها ، وهى تقول :

- نعم يا (سلوى) .. إنه ليس حلمًا .

ثم نهضت من مقعدها ، واشاحت بوجهها ، وهى تفرك كفيها فى عصبية ، مستطردة :

- فالحلم لا يراود اثنتين فى ليلة واحدة .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تحدق فيها ، قائلة :

- اثنتان فى ليلة واحدة ؟! .. ماذا تعنين ؟

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية اكثر ، قبل ان تلتفت إليها ، وتتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلة :

- انا ايضًا رايت الحلم نفسه الليلة يا (سلوى) ..

وبكل ماذكرت من تفاصيل ، باستثناء اننى انا التى كانت تصرخ ، وليس انت .

خفق قلب (سلوى) فى عنف ، وارتجف بين ضلوعها ، وهى تحدق فيها فى ارتياع ، وراحت عبارة واحدة تصرخ فى عقلها بلا انقطاع ..

إنه ليس حلمًا ..

ليس حلمًا ..

ليس كذلك ابدًا ..

* * *

« لم يحن وقت الضحك بعد يا (ناتاشا) .. »

انتفض جسد (ناتاشا) فى عنف ، صكّت العبارة مسامعها ، واستدارت إلى مصدرها فى سرعة وحدة ، مع مسدسها الليزرى ، ووقع بصرها على (نور) و(اكرم) ، وهما يصوبان إليها مسدسيهما ، والأول يتابع فى صرامة :

- كنت واثقًا من اننا سنجدك هنا .

اتسعت عينا (ناتاشا) لحظة فى ارتياع ، ثم استعادت ملامحها الشرسة فى سرعة ، ووثبت تجذب (نادية) إليها ، واحاطت عنقها بساعدها ، ثم الصقت فوهة مسدسها الليزرى بصدغها ، هاتفة :

- لو اقترب احدكما منى ساطلق الأشعة على

وأحاطت عنقها بساعدها ثم ألصقت فوهة مسدسها الليزرى بصدغها ، هاتفة : لو اقترب أحدكما منى سأطلق الأشعة ..

راسها ، وافسد هذا المخ الثمين ، الذى كلفكم ملايين الجنيهات .

صرخت (نادية) فى رعب :

- لا .. ارجوك . لا تقتليني .

اشار (نور) بيده قائلاً فى حزم :

- اطمئنى يا (نادية) .. لن تقتلك .

صرخت (ناتاشا) :

- بل سافعل .. اقترب اكثر ، سامنحك مشهدًا نادرًا لمخ تذيبه اشعة الليزر .

وصل (اوتو) و (واتسن) و (خالد) فى هذه اللحظة ، واتسعت عيونهم فى دهشة امام هذا المشهد ، فى حين صرخت فيهم (ناتاشا) فى شراسة :

- توقفوا .. ساقتل الفتاة مع اول حركة .

صوّب (اكرم) مسدسه إلى راسها ، وهو يقول فى غضب :

- افعلى ، وسانسف راسك بدورى .. انظرى إلى مسدسى جيدًا ، وستدركين اننى اعنى كل حرف تفوّهت به .. إننى احمل مسدسًا تقليديًا ، وليس ليزريًا مثلكم .

أجابته فى عصبية :

- ولكنك لن تقتلنى .. انا اعرفكم ايها العرب .. لقد درست فروسيتكم السخيفة فى دولتى .. انتم ترون العار ، كل العار ، فى قتل النساء .

قال (أكرم) فى صرامة :

- ليس الحقيرات منهن .

اشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يقول :

- تخطئين كثيرًا لو حاولت قتلها يا (ناتاشا) .. لقد انكشف امرك ، ولم يعد هناك مبرر لما تفعلينه .. إننا لن نسمح لك بالفرار الآن قط ، مهما كان الثمن ، وخاصة بعد ان لاحظت مافعلته بالباب ، ففرارك يعنى مصرعنا جميعًا دفعة واحدة .

اضطربت (ناتاشا) فى شدة ، عندما واجهها (نور) بانكشاف خطتها على هذا النحو ، وقالت فى عصبية :

- فليكن .. اصلحوا الباب ، واتركونى ارحل فى سلام ، وإلا فستدفع تلك النادرة الثمن .

هزّ (نور) راسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :

- مستحيل ! .. لا يمكننا أن نسمح لك بالرحيل مع كرة المعلومات و (نادية) .. موتنا اهون من حدوث هذا .

هتف به (أوتو) محنقًا :

- تحدّث عن نفسك يارجل .

رمقه (خالد) بنظرة ازدراء ، ومطّ شفتيه فى احتقار ، فهتف (أوتو) :

- رحيلها لايعنينى فى قليل او كثير ، فلنذهب إلى الجحيم ، لو ان هذا ينقذ حياتنا .

هتفت (ناتاشا) بدورها :

- اسمعت ايها القائد (نور) ؟! .. استمع إلى الراى الحكيم ، الذى يقوله هذا الإلمانى .. لا داعىَ لأن تضحّى بحياتك ، فى سبيل اى شىء كان ، لمجرّد انك نجحت بالمصادفة البحتة فى منعى من الهرب ، فى اللحظة الأخيرة ..

اجابها (نور) فى حزم :

- لا شان للمصادفة بهذا يا (ناتاشا) .. إنها عبارة نطق بها زميلى (رمزى) وجعلتنى ادرك كل شىء بغتة .. لقد اشار إلى اننا اصبحنا كالعميان ، نتخبط فى الظلام ، وهنا تذكّرت فجاة قصتك الملفّقة عن ذلك القاتل ، الذى هاجمك فى حجرتك .. لقد قلت فى بدايتها إن الحجرة كانت مظلمة تمامًا ، وعلى الرغم من هذا فقد انقضضت عليه دون خطا واحد ، وانتزعت منظاره عن عينيه بضربة واحدة .. وهذا التناسق المدهش لايمكن أن يحدث إلا تحت ضوء

جيد ، ومع شخص مدرَّب جيدًا ، وليس مع نصف عالمة ، كما تقول هويتك .

ارتجفت شفتا (ناتاشا) ، وهى تقول :

- مازلت اعتبرها مجرَّد مصادفة .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

- فليكن يا (ناتاشا) ..اعتبريها كما يحلو لك ، ولكننى لن اسمح لك بمغادرة هذا المكان ، على قيد الحياة .

جذبت (ناتاشا) (نادية) نحو مركبة الفضاء الصغيرة ، وهى تقول :

- ولكننى مازلت امتلك ناصية الأمور أيها القائد .. ومازال بإمكانى القيام بالخطوة الأخيرة ، وإطلاق الضحكة الساخرة الختامية .. يكفى أن اضغط زر تشغيل المركبة ، ليبدأ نظام الإقلاع الآلى عمله ، وتنفتح الأبواب الخارجية ، فينخفض الضغط والهواء بغتة ، وتثب درجات الحرارة إلى الصفر .. تُرى هل سيمكنكم احتمال هذا ؟!

ضاقت عينا (اكرم) ، وهو يصوِّب مسدسه إلى رأسها فى إحكام ، قائلاً :

- فليكن يا وغدتى الجميلة ، مادمنا سنلقى مصرعنا معًا .

هتفت فى عصبية :

- ومن قال : إننا سنلقى مصرعنا معًا ؟! .. إننى ارتدى زيًا فضائيًا كاملا ، ولاينقصنى سوى وضع الخوذة على رأسى ، وضغط زر تشغيل الزى .. اما (نادية) فقدراتها المتفوِّقة ستنقذ حياتها ، ولن يلقى مصرعه سواكم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين قال (اكرم) فى صرامة :

- (نور) .. إننى اصوِّب مسدسى إلى رأسها مباشرة .. هل اطلق النار ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، دون أن يجيب ، فتابع (اكرم) :

- اطمئن .. لن اخطئ إصابتها ، ولن اعرِّض حياة (نادية) للخطر .

بكت (نادية) فى انهيار ، فى حين بدا التوتر الشديد على وجه (ناتاشا) ، وهى تدير عينيها بين وجهى (نور) و (اكرم) ، وتقول فى عصبية :

- إياك أن يفعل .. امنعه من القيام بتلك الخطوة الحمقاء أيها القائد .. حاول أن تقدِّر العقبات .

صمت (نور) بضع لحظات فى صرامة ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وقال :

- للأسف يا (ناتاشا) .. ليس لدينا خيار آخر .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- عظيم .

قالها ، وإبهامه يجذب إبرة مسدسه ، و ....

« توقَّف يارجل .. إياك أن تضغط الزناد » ..

نطق (أوتو) العبارة فى عصبية ، وهو يتراجع بضع خطوات ، ويصوِّب مسدسه إلى (أكرم) ، الذى قال فى غضب :

- مامعنى هذا التصرف السخيف أيها الألمانى ؟!

وهتف (خالد) مستنكرًا :

- (أوتو) .. هل جننت ؟!

قال (أوتو) فى حدة شديدة :

- بل أحاول الحفاظ على حياتى يارجل .. تلك المرأة الروسية وضعت اقتراحًا معقولاً .. اتركوها ترحل ، ولنحتفظ بحياتنا .. لماذا نموت جميعًا بلا سبب ؟! .. لماذا ؟!

تألقت عينا (ناتاشا) فى ظفر ، وجذبت (نادية) أكثر وأكثر نحو المركبة ، وهى تقول :

- عظيم ياسيِّد (أوتو) .. تفكير عظيم .. تعاون

معى ، وسنجبر هؤلاء السادة على تنفيذ الاقتراح .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة شديدة ، وصوَّب مسدسه إلى (أوتو) ، قائلاً :

- اخفض مسدسك ياسيِّد (أوتو) ، ولا تقحم نفسك فى أمر كهذا .

صاح (أوتو) فى حدة :

- بل اخفض مسدسك أنت أيها القائد ، وإلا أطلقت النار على رفيقك هذا .

وهتفت (ناتاشا) :

- وسأذيب أنا مخ هذه الفتاة .

اشتعلت نيران الغضب فى وجه (خالد) ، وهو يقول لـ (أوتو) :

- أيها الغبى الحقير .. إنك تفسد كل شىء بحماقتك وجبنك .

تراجع (أوتو) فى عصبية ، وهو يقول :

- إياك أن تقترب منى .. سأطلق النار دون إنذار .

صاح به (خالد) :

- لن تجرؤ أيها الجبان .. مثلك لايقوم بعمل إيجابى مباشر قط .

تراجع (أوتو) أكثر ، صارخًا :

- قلت لك : إياك أن تقترب .

ولكن (خالد) انقضّ عليه ، صارخًا :

- لن تجرؤ .

تراجع (أوتو) فى ذعر ، صارخًا :

- لا .. لا تقترب منى .

كانت الأنظار كلها تتجه إليه ، وإلى (خالد) الذى انقض عليه فى غضب ، فانتهزت (ناتاشا) الفرصة ، وأطلقت أشعة مسدسها نحو (نور) ، صارخة :

- خسرت أيها القائد .. خسرت .

انتبه (نور) إلى الأمر فى اللحظة الأخيرة ، فوثب جانبًا بأسرع ما أمكنه ، ولكن خيط الأشعة أصاب كتفه ، ودفعه إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالجدار ، وتفجّر الدم من جرحه ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (خالد) على (أوتو) ، وقبض على معصمه فى قوة .

وبسرعة مذهلة ، وبعد أن أصابت (نور) ، أدارت (ناتاشا) فوهة مسدسها الليزرى نحو (أكرم) ، و (نادية) تطلق صرخة ذعر هائلة ..

ومع الزاوية الحادة التى اتخذتها ، لم يكن بوسع (أكرم) أن يطلق رصاصته نحوها فتراجع بسرعة وقفز جانبًا ، ورأى أشعة مسدسها تعبر على قيد سنتيمتر واحد من أنفه ، وقبل أن يسقط أرضًا ، فى

حين جذبت هى (نادية) إلى مركبة الفضاء ، ودفعتها داخلها ، وهى تهتف فى ظفر هستيرى :

- هيا ياصغيرتى .. سننطلق الآن ، وليذهب الجميع خلفنا إلى الجحيم .

ثم وثبت إلى مقعد قيادة المركبة ، واندفعت يدها نحو زر الإقلاع مستطردة :

- الوداع أيها الحمقى .. أبلغوا شياطين الجحيم أن (ناتاشا) قد انتصرت كالمعتاد .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يدرك أن زجاج المركبة الفضائية معالج لامتصاص خيوط أشعة الليزر ، وأنه لن ينجح قط فى إصابة الروسية من موضعه ، فصاح :

- (أكرم) .. إنها لك .

قفز (أكرم) واقفًا ، وهو يصيح :

- بكل سرور .

وبسرعة مدهشة ، صوّب مسدسه إليها ، و ...

وأطلق النار ..

ومع دوى الرصاصات التقليدية ، وصداها المزعج فى قاعة الإقلاع ، توقّف صراع (أوتو) و(خالد) والتفتا مع (واتسن) إلى المركبة الفضائية

الصغيرة ، فى نفس اللحظة التى اطلقت فيها (نادية) صرخة قوية ...

وتوقف الزمن لحظة ، بالنسبة للجميع ، وهم يحدقون فى (ناتاشا) ، التى جحظت عيناها ، وتجمدت ابتسامتها على شفتيها ، ثم تحولت إلى انفراجة الم ذاهلة ، مع الثقب المستدير ، الذى توسط جبهتها ، مقابل مثيله فى زجاج المركبة المواجه لها بالضبط ..

ثم تفجرت الدماء من ثقب جبهتها ، وهوى راسها ليرتطم باجهزة قيادة المركبة ..

واطلقت (نادية) صرخة اخرى ..

واخرى ..

واخرى ..

ثم وصل إليها (نور) ، وربت عليها فى رفق ، مغمغمًا :

- لا باس .. لا باس .. لقد انتهى كل شىء .

تركته يجذبها إلى خارج المركبة ، فى حين انتزع (خالد) مسدس (اوتو) ، وهو يقول فى غضب :

- ارايت ايها الأحمق ؟! .. لقد انتهى الأمر دون سخافات غبية .

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- كالتى كنت تسعى إليها .

لم يكد (اوتو) يسقط ، ويرتطم بارض القاعة ، حتى ارتجّ المكوك كله فى عنف ، فاتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وتمتم (اكرم) :

- عجبًا ! .. لم اكن اتصوّر ان الالمانى ثقيل إلى هذا الحد .

ارتجّ المكوك مرة اخرى فى عنف ، فهتف (نور) :

- رباه ! .. اهى كارثة جديدة ؟

ومع آخر حروف كلماته ، ارتفع المكوك عن سطح القمر فى حركة حادة ، فاختل توازن الجميع ، وسقطوا ارضًا ، وصرخ (اوتو) فى رعب :

- ماذا يحدث ؟ .. ماذا يحدث ؟

هب (نور) واقفًا ، وانطلق يعدو نحو حجرة القيادة ، هاتفًا :

- لست ادرى ماذا يحدث ، ولكننا نطير .

لحق به (واتسن) ، قائلاً فى دهشة مذعورة :

- بدون محركات ؟!

اجابه (نور) فى توتر شديد :

- نعم ياسيّد (واتسن) .. نطير بدون محركات .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد هامسًا :

- واخشى ما اخشاه ان لدىّ تفسيرًا لهذا .

لم يسمع أحدهم ما همس به ، أو يلقى عليه سؤالاً آخر ، حتى بلغوا حجرة القيادة ، فاتسعت عيونهم فى ذهول مذعور ، وهم يحدقون فى مشهد رهيب ، عبر نافذتها الزجاجية الضخمة ..

ومع انعقاد السنتهم ، بدا صوت (أكرم) الخافت المختنق كالصرخة ، وهو يتمتم :

- يا إلهى !

فبسرعة كبيرة ، ومن خلال مسار حلزونى طويل ، كان مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) يتجه بهم مع عدد من الأحجار وصخور القمر الضخمة ، نحو مركز الانفجار مباشرة ..

نحو تلك الفجوة المظلمة ، التى قال عنها (محمود) فى أحلامهم : إنها تقود إلى عالم عجيب .. ومخيب .

* * *

تم الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(الفجوة السوداء)

الدوَّامة

- ماسر ذلك الانفجار، الذى أضاء الأرض كلها، فى منتصف الليل ؟!
- لماذا انطلق (نور) و (أكرم) مع حملة خاصة إلى قاعدة القمر ؟!
- ترى هل ينجح (نور) و (أكرم) فى مهمتهما هذه المرة، أم تبتلعهم (الدوامة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) ورفاقه .. من أجل الأرض.

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

109

الثمن فى مصر ٢٠٠ مليما بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : الفجوة السوداء